قال ابن كثير[1] في يزيد: "وأكرم آل بيت الحسين، ورَدَّ عليهم جميع ما فقد لهم وأضْعَفه، ورَدَّهم إلى المدينةِ في محامل وأبهةٍ عظيمةٍ، وقد ناح أهله على الحسين".

---

[1] في البداية والنهاية: (٨ / ٢٥٤).

هذا وللإمام الغزالي رحمه الله تعالى فتوى بشأن يزيدَ بنِ مُعاويَةَ من المناسبِ إيرادُها هنا، وهي أنه سُئلَ عمَّن صرَّحَ بلَعْنِ يزيدَ وقد فعل كذا وكذا؟ هل يُحكَمُ بفسْقِه أَم هل يكون ذلك مُرخَّصاً فيه؟ وهل كان مُريداً قتْلَ الحسين، رضي الله عنه، أم كان قصدُه الدَّفْع؟ وهل يَسوغُ التَّرحُّمُ عليه أم السكوت عنه أفضل؟ ينعم بإزالَةِ الاشْتباه مثاباً.

فأجاب: لا يجوز لعنُ المسلمِ أَصلاً، ومَنْ لَعنَ مُسلِماً فهو الملعونُ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (المُسلِمُ لَيْسَ بِلَعّانٍ)، وكيف يَجوزُ لَعْنُ المسلمِ ولا يَجوزُ لعنُ البهائمِ، وقد ورد النَّهيُ عن ذلك، وحرْمةُ المسلمُ أَعظَمُ مِنْ حرمَةِ الكَعْبَة بنصِّ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم. ويَزيدُ صحَّ إسلامُه، وما صحَّ قتْلُه الحسين رضي الله عنه، ولا أَمَرَه ولا رِضاهُ بذَلك، ومهما لم يصحَّ ذَلِك منه لا يَجوزُ أَنْ يُظنَّ ذلك به فإنَّ إساءَة الظَّنِّ بالمسلم أَيضاً حَرامٌ، وقد قال تعالى: {يا أَيُّها الَّذينَ آمَنوا اجْتَنبوا كَثيراً مِنَ الظَّنِّ إنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إثْمٌ} [الحجرات: ١٢] وقالَ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم: (إنَّ اللهَ حرَّم مِنَ المُسلِمِ دَمَهُ ومالَهُ وعرْضَهُ، وأَنْ يُظنَّ بِه ظَنَّ السّوءِ)، ومَنْ زَعَمَ أَنَّ يزيدَ أَمَرَ بقَتْلِ الحُسين رضي الله عنه، أو رَضيَ به فينبغي أَنْ يُعْلَمَ به غاية حماقة، فإنَّ مَنْ قُتِلَ من الأَكابِرِ والوزراءِ والسَّلاطين في عَصْرِهِ لو أَراد أَنْ يَعْلَمَ حَقيقةَ مَنْ أَمَرَ بقتْلِه ومن الذي رَضيَ به؟ ومَن الذي كَرِهَه؟ لم يقدِرْ على ذلك، وإنْ كان قد قُتِلَ في جوارِهِ وزَمانِهِ وهو يُشاهِدُه، فكيف لو كان في بلدٍ بعيدٍ وزمنٍ قديمٍ قد انقضى، فكيف يعلم ذلك فيما انقضى عليه قريبٌ من أربعمئة سنة في مكان بعيد، وقد تطرَّق التَّعصُّب في الواقعة فكثُرَتْ فيها الأحاديث من الجوانب، فهذا أمرٌ لا تعرف حقيقته أصلاً، وإذا لم يُعرَف وجَبَ إحْسانُ الظَّنِّ بكلِّ مسلِمٍ يُمكِنُ إحسانُ الظَّنِّ به، ومع هذا فلو ثبت على مسلم أنَّه قَتلَ مُسلماً فمذهبُ الحقِّ أنَّه ليس بكافرٍ، والقتلُ ليس بكفرٍ بل هو معصيةٌ، وإذا ماتَ القاتلُ فربَّما مات بعد التوبة، والكافرُ لو تابَ من كُفْرِه لم تجز لعنته، فكيف من تاب عن قتلٍ، وبِمَ يُعْرَف أنَّ قاتِلَ الحسين رضي الله عنه مات قبل التوبة {وَهوَ الَّذي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبادِهِ} [الشورى: ٢٥]، فإذاً لا يَجوزُ لَعْنُ أحدٍ ممن مات =

لقد كان قتْلُ الحُسينِ " ثالثةُ مَصائبِ الإسلام[1] بعد أمير المؤمنين عثمان، أو رابعها بعد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وخرومِه" كما قال ابن حزم.

وكانت هذِه فتْنةٌ أَيسرُ ما نقولُ عنها: إِنَّها وسَّعتْ بابَ الفرقَة بيْنَ المسْلِميْنَ.

وقعة الحرة (ذو الحجة٦٣هـ)

بعد مقتل الحسين رضي الله عنه تعاطف أهل الحجاز مع عبد الله بن الزُّبَيْرِ رضي الله عنهما الذي رفض مبايعة يزيد ابتدءاً، وانقسم أهل المدينة تجاه البيعة ليزيد والدخول في طاعته إلى قسمين؛

= قسم تزعَّمه عددٌ ممن دفعه الحماس والغيرة على الدين إلى خلع يزيد، ومنهم بعض الفقهاء، ولقد اعتمدت ثورة أهل المدينة على فتوى هؤلاء العلماء في مقاومة حكم يزيد بن مُعاويَة، ويتضح ذلك في خطاب عبد الله بن حنظلة حين قال: يا قوم اتقوا الله وحده لا شريك له، فوالله ما خرجنا على يزيد حتى خفنا أَنْ نرمى بحجارة من السماء.

= والقسم الآخر والذي يمثِّلُهُ معظمُ الصَّحابَة الذينَ امتدَّ بهم العمر إلى هذا التاريخ، ومعهم بعضٌ من كبار التابعينَ، ومنهم عبد الله بن عمر بن الخطاب، والنَّعمان بن بشير، وسعيد بن المسيب، ومحمد بن الحنفيَّة، وعليّ بن الحسين،

= مِنَ المسْلِميْنَ، ومن لعنَه كان فاسقاً عاصياً لله تعالى، ولو جاز لعْنُه فسكتَ لم يكن عاصياً بالإجْماع، بل لو لم يلْعَنْ إبليسَ طولَ عُمرِه لا يُقالَ له يوم القيامة: لِمَ لَمْ تلعنْ إبليس، ويُقالُ لِلاَّعنِ: لم لَعَنْتَ ومَنْ أَينَ عَرَفْتَ أنَّه مطرودٌ ملعونٌ والمَلعونُ وهو المُبْعدُ مِنَ اللهِ عزَّ وجلَّ، وذلك غَيْبٌ لا يُعرفُ إِلى فيمَنْ ماتَ كافراً فإنَّ ذلك عُلِمَ بالشَّرْعِ، وأما التَّرحُّم عليه جائِزٌ، بل هو مُسْتَحبٌ، بل هو داخلٌ في قَوْلِنا في كلِّ صلاةٍ (اللهمَّ اغْفِرْ للمُؤمنينَ والمُؤْمِناتِ) ، فإنَّه كان مؤمناً والله أعلم؛ كتبه الغزالي. وفيات الأعيان (٣/ ٢٨٨-٢٨٩).

[1] أما أول تلك المصائب فهي انتقال الحبيب المصطفى سيد ولد آدم صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى.

وعبد الله بن جعفر رضي الله عنهم، وغيرهم، فهؤلاء لم يشترِك أحدٌ منهم في هذه الفتنة ولا رضي بها، بل حاولوا إقناع الثائرين بعدم خلع يزيد والخروج على حكمه.

وأما أهمُّ الأسباب والدَّوافع التي قامت عليها حركة أهل المدينة في الخروج على يزيد فهي:

= الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لأن بني أمية قد تجاوزوا في حكمهم حدود الشريعة.

= عدم تمتع الخليفة بالكفاءة والعدالة في شخصه.

كل ذلك بعد أَنْ كانوا قد أعطوا البيعة ليزيد، لكنهم وللأسباب الآنفة رأوا أنه يجوز لهم نقض البيعة وخلع يزيد نظراً لعدم كفاءته وصلاحه للحكم، وهو أمر خالفهم فيه عامة الصحابة لأَنَّهُم يرون أَنَّ نقض البيعة لا يجوز، وأنَّ فسوقَ الحاكم لا يوجب الخروج عليه.

يضاف إلى ذلك خوف مفتي الصحابة وكثير من الفقهاء على أهل المدينة من القتل، والخوف على انتهاك قدسية مدينة رسول الله صلى اله عليه وسلم، وقد وقع ذلك بالفعل.

قام الثائرون بمحاصرة بني أمية في المدينة في دار مروان بن الحكم، فبلغ ذلك يزيد فأرد أَنْ يخلِّصهم من هذا الحصار قبل أَنْ يُقتلوا أو يَحلَّ بهم مكروه، فأمر بتجهيز جيش ليذهب إلى المدينة، فيخلِّص بني أميَّة، ويردّ هؤلاء المتمردين إلى الطاعة، وعيَّن **مسلم بن عقبة المرّي** قائداً للجيش ، وأمرَه أَنْ يدعوهم ثلاثاً، فإنْ رَجعوا إلى الطاعةِ، قَبِلَ منهم وكفَّ عنهم، وإلاَّ قاتلهم، ثم إذا فرغ من المدينة أَنْ يذهب لحصار ابن الزُّبَيْرِ، وقال له: إنْ حدَث بكَ أمْرٌ فعلى النّاس **حُصينُ بنُ نمير السكوني**.

سار مسلمٌ إلى المدينة فوجد بني أمية قد أُخرجوا منها، وساروا تجاه الشام، فاستوقفهم وسألهم عن الوضع في المدينة، فلم ينطقوا بجواب، وكان أهل المدينة، قد أطلقوا حصارهم بعد أَنْ أخذوا عليهم العهود والمواثيق ألاَّ يدلوا على عورة ولا يعاونوا عدوّاً، فغَضِبَ مسلمٌ منهم غضباً شديداً، ولم يهدء غضبَه إلا عبد الملك بن مروان الذي دلَّه على الخطَّة التي يَجبُ اِتِّباعُها في حرب المدينة، فأشار عَليه بأنْ يأتيَها مِنْ جِهَتِها الشرقية، ويلحق في الجنوب منها، يواجه أهل المدينة، في مكان يسمى الحرَّة، وتأتي الشمس أمام جيشِ الشام فتلمع خوَذهم وسلاحهم فيرهبون عدوهم، ويكون لهم السيطرة من الوجهة الحربية، وهذا ما قام به ففي آواخر شهر ذي الحجة سنة (٦٣ هـ) التقى جيش الشام بقيادة مسلمٌ بجيش أهل المدينة، وانتهت المعركة لصالح جيش الشام، وقُتِل عدد كبيرٌ من القادة ووجوه النّاس، منهم عدد من الصحابة رضوان الله عليهم[1].

هذا وقد أورد خليفة بن خياط في تاريخه قائمة بأسماء قتلى الحرَّة وقال: فجميع من أصيب من قريش والأنصار ثلاثمائة رجل وستة رجال[2].

وبعد انتهاء معركة الحرّة أحضر مسلم مدبري الفتن واستعرضهم، وطلب إليهم أَنْ يبايعوه على أنّهم خَوَلٌ ليزيد، ويحكم في أهلهم ودمائهم وأموالهم ما

---

[1] عن سعيد بن المسيب قال: وقعت الفتنة الأولى - يعني مقتل عُثْمان - فلم تُبْقِ مِنْ أصحابِ بدر أحداً، ثم وقعت الفتنة الثانية - يعني الحرَّة - فلم تُبْقِ من أصحاب الحديبية أحداً، ثم وقعت الثالثة فلم ترتفع وللناس طبّاخ - كأنَّه أرادَ أنَّه لم تُبقِ الفتنةُ بينَ الناسِ صحابياً -. البخاري في كتاب المغازي، باب شهود الملائكة بدراً، بعد الحديث رقم (٣١٨١) فتح الباري (٧/ ٣٧٥)، وينظر تاريخ ابن أبي خيثمة (١٢١/٤).

[2] تاريخ خليفة: ٢٥٠.

يشاء، فلم يقبلوا بأن يبايعوا هذه البيعة فقتلهم، وكان يريد أَنْ يقضي على فتنتهم بالصَّغارِ، والحط من منزلتهم والتحقير من شأْنِهم، بحيث يعتبرون عبيداً، هم وما يملكون. وهذا انحراف عظيم وتجاوز لحدود ما شرع الله تعالى.

لقد كانت وقعة الحرَّةِ وما تلاها مصيبة[1]: "من أكبر مصائب الإسلام وخُرومه، لأن أفاضل المسْلِميْنَ وبقية الصحابة وخيار المسْلِميْنَ من جِلَّة التابعين قُتِلوا فيها". كما قال ابن حزم.

ولما بلغ يزيد خبر أهل المدينة وما وقع بهم قال: "واقوْماه" ثم دعا الضَّحّاكَ بنَ قيْسٍ الفِهْريَّ فقال له: "ترى ما لقي أهل المدينة، فما الرَّأْيُ الذي يَجْبُرهم؟" قال: "الطَّعامُ والأُعْطيَةُ" فأمر بحَمْلِ الطعام إليهم وأفاض عليهم أُعْطيَتَه.

تحليل موقف ابن عمر من هذه الفتنة:

قدمنا أَنَّ كَثيراً مِنْ عُلَماءِ المدينةِ وأَعيانِها من الصَّحابةِ والتّابعينَ اعترض عن خَلْعِ يزيدَ فلم يؤيدوا من قام بالخروجِ، بل نصحوا إخوانهم واعتزلوا الفتنة، وفي مقدمة هؤلاء **عبد الله بن عمر بن الخطاب** رضي الله عنهما فإنَّهُ (لَمّا خَلَعَ أَهْلُ المَدينَةِ يَزيدَ بْنَ مُعاويَةَ، جَمَعَ حَشَمَهُ وَوَلَدَهُ، فَقالَ: إِنّي سَمِعْتُ النَّبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقولُ: «يُنْصَبُ لِكُلِّ غادِرٍ لِواءٌ يَوْمَ القيامَةِ» وَإِنّا قَدْ بايَعْنا هَذا الرَّجُلَ عَلَى بَيْعِ اللهِ وَرَسولِهِ، وَإِنّي لاَ أَعْلَمُ غَدْرًا أَعْظَمَ مِنْ أَنْ يُبايَعَ رَجُلٌ

---

[1] إنما قلنا إنها من أكبر المصائب، لأنَّ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم جعل المدينة حرماً فانتهتك تلك الحرمة.

عَلَى بَيْعِ اللهِ وَرَسولِهِ ثُمَّ يُنْصَبُ لَهُ القِتالُ، وَإِنّي لاَ أَعْلَمُ أَحَدًا مِنْكُمْ خَلَعَهُ، وَلاَ بايَعَ فِي هَذا الأَمْرِ، إِلاَّ كانَتِ الفَيْصَلَ بَيْني وَبَيْنَهُ)[1].

فقد عارَضَ ابنُ عُمَرَ من خرج من أهل المدينة لنقضهم البيعة، فهم لم يفعلوا مثل الحسين رضي الله عنه، حيث كان موقفه واضحاً منذ البداية، ولم يعط البيعة.

هذا ولقد استدلَّ الحافظ ابنُ حجر رحمه الله بموقِفِ ابنِ عُمَرَ، والأحاديث التي استشهد بها على وجوب طاعة الإمام الذي انعقدت له البيعة، والمنع من الخروج عليه، ولو جارَ في حُكْمِه، وأنه لا ينْخَلِعُ ولا يُخْلَعُ بالفسق[2].

والواقع أَنَّ موقف ابن عمر يدل على تحريم الغدر بكل أشكاله، وفي جميع مواضعه، بما فيها غدر الأُمَّةِ برئيسِ الدَّولَة الذي تم اختياره، - وهو أي ابن عمر - مع وفائه ببيعة يزيد، اعتزل القتال ولم يشارك أيّاً من الطَّرفين، فهذا موقف شيْخِ الصَّحابةِ في عَصْرِهِ، وأَوْرَع النّاسِ وأزهدهم وأفقههم في دين الله، الذي قالَتْ عنْهُ السَّيدَةُ عائشَةُ رضي الله عنها: «ما رَأَيْتُ أَلْزَمَ لِلْأَمْرِ الْأَوَّلِ مِنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ»[3].

أسباب فشل الخارجين على يزيد من أهل المدينة:

لقد كان محكوماً على حركة أهل المدينة بالفشل، لعدة اعتبارات، منها:

١- تفرُّق صفوفهم فلم يكن لهم قائدٌ واحدٌ، وقد تنبّأ عبدُ اللهِ بنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما بهذه النَّتيجةِ عندما سألَ عَنْ حالِهِمْ: فقيلَ استَعْمَلوا **عبدَ الله**

---

[1] أخرجه البخاري في كتاب الفتن، باب إذا قال عند قومٍ شيْئاً ثم قال بِخِلافِهِ (٧١١١).

[2] فتح الباري (١٣/ ٦٠).

[3] المستدرك على الصحيحين للحاكم (٣/ ٦٤٤).

بنَ مطيعٍ على قريشٍ، **وعبدَ اللهِ بنَ حنْظَلَةَ** على الأَنصارِ. فقال ابن عباس: أميران؟ هَلكَ القومُ.

ولو حصل الانتصار، فدواعي اشتعال الفتنة موجودة ممَّنْ يكون الخليفة؟ هل يتولاها رجل من قريش أو من الأنصار؟ فهم لم يعلنوا أَنَّهُم تَبَعٌ لابنِ الزُّبَيْرِ.

٢- عدم وضوح الهدف الذي يريدون تحقيقه بعد خلع يزيد والنصر، فإذا كان هدفهم خلع يزيد: هل كانوا يريدون أَنْ تكون إمارة مستقلة؟ وهذا غير ممكن. وإذا كان هدفهم تولية ابن الزُّبَيْرِ، لماذا لم يرفعوا راية واحدة باسم ابن الزُّبَيْرِ، ولماذا لم يطلبوا المدد منه؟ إِذْ لو ضَمَّ ابنُ الزُّبَيْرِ جندَه إلى جندِ المدينة، لتكوَّنت قوة تستطيع أَنْ تقف أمام جيش مسلم بن عقبة، ولكنهم عندما وزعوا قواتهم وعدَّدوا معاركهم استطاع الأمويون أَنْ ينتصروا عليهم وهم متفرقون.

يقولُ ابنُ تيْميَّة: "... وَقَلَّ مَنْ خَرَجَ عَلَى إِمامٍ ذي سُلْطانٍ إِلاَّ كانَ ما تَوَلَّدَ عَلَى فِعْلِهِ مِنَ الشَّرِّ أَعْظَمَ مِمّا تَوَلَّدَ مِنَ الخَيْرِ، كالَّذينَ خَرَجوا عَلَى يَزيدَ بِالمدينَةِ، ... فَهُزِموا وَهُزِمَ أَصْحابُهُمْ، فَلا أَقاموا ديناً وَلا أَبْقَوْا دُنْيا ... واللهُ تَعالَى لا يَأْمُرُ بِأَمْرٍ لا يَحْصُلُ بِهِ صَلاحُ الدّينِ وَلا صَلاحُ الدُّنْيا، وَإِنْ كانَ فاعِلُ ذَلِكَ مِنْ أَوْلياءِ اللهِ المتَّقينَ ... وَكانَ أَفاضِلُ الْمُسْلِمينَ يَنْهَوْنَ عَنِ الخروجِ والقِتالِ في الفِتْنَةِ، كَما كانَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ، وَسَعيدُ بْنُ المسَيَّبِ، وَعَليُّ بْنُ الحسَيْنِ وَغَيْرُهُمْ يَنْهَوْنَ عامَ الحرَّةِ عَنِ الخروجِ عَلَى يَزيدَ"[1].

خروج عبد اللهِ بنِ الزُّبيْرِ:

انتقلَ ابنُ الزُّبَيْرِ رضي الله عنه من المدينَةِ إلى مكَّةَ رفضاً لبيعةِ يزيد، إلاَّ أَنَّه لمْ يطلُبِ البيعةَ لنَفسِه، وإِنَّما كانَ يهدفُ إِلى إعادةِ أمرِ الخلافَةِ إلى الشّورى، وكان

[1] منهاج السنة النبوية ٤/٥٢٨-٥٢٩. باختصار.

يخطبُ ويقولُ: «والله لا أُريدُ إلاَّ الإصْلاحَ وإقامَةَ الحقِّ، ولا أَلْتَمِسُ جمْعَ مالٍ ولا إدِّخاره، وإنَّما بطني شِبْرٌ أو أقل، يَكفيني ما مَلأَهُ»[1]. وقدِ التفَّ النّاسُ حولَه في مكةَ ردَّة فعلٍ للذي أحدثَتْهُ فاجِعَةُ كَربُلاء.

عندما سمع ابن الزُّبَيْرِ بمقْتَلِ الحُسينِ رضي الله عنه قام خطيباً في مكَّةَ وترحَّم على الحسين وذمَّ قاتليه، ونظراً للمشاعر العاطفية التي أَثَّرتْ على المسلمينَ عموماً بسبب قتلِ الحسينِ رضي الله عنه أخذَ ابنُ الزُّبيْرِ يدعو إلى الشّورى ويحطُّ على يزيدَ ويثبِّط النّاس عنه، وأخذ النّاس يلتفّونَ حوْلَهُ.

حاول يزيد في بداية الأمر أَنْ يحتوي الأمرَ حتى لا تتَّسع دائرةَ النِّزاع وتفضي إلى القتالِ من جديدٍ، فكتَبَ يزيدُ رسالَةً ابْنِ الزُّبيْرِ يدعوه إلى البيعة، ويَذكُرُ فيها فضائلَهُ ومآثِرَهُ في الإسْلامِ، ويُحذِّرُه من الفتْنَةِ والسَّعي فيها، ويقول: أُذكِّرُكَ اللهَ في نفسك، فإنَّك ذو سِنٍّ في قريشٍ، وقد مَضى لك سَلَفٌ صالحٌ، وقَدَمُ صدقٍ من عِبادَةٍ واجتهادٍ، فادْخُلْ فيما دَخلَ فيه النّاسُ، ولا تُرْدِهِم في فِتْنَةٍ، فتُحلَّ ما حرَّم الله تعالى.

فلمّا وَقَفَ ابنُ الزُّبير على كِتابِهِ، كتبَ إليه: "أمّا بعد، فاجْعَلْها شورى بَيْنَ المسلمينَ..." وأغلظَ له في العبارة، ... فغضبَ يزيد، وحلف لا يقبلُ له بيعةً[2].

وفي أوَّلِ المحرم من عام (٦٤ هـ) وبعد فراغِ مسلم بن عُقْبة من المدينة المنورة سار إلى مكَّةَ قاصداً قِتالَ ابْنِ الزُّبَيْرِ، ولكنَّه مات في طريقِه، فتولَّى القيادةَ من بعدِه الحُصَيْنُ بنُ نُميْرٍ السكونيُّ الذي وصل إلى مكة قبل انقضاء شهْرِ المحرَّمِ بأربعِ ليالٍ. وعسكَر بالحجون، فقام ابنُ الزُّبَيْرِ يحثُّ النّاس على قتال جيش أهل

---

[1] أنساب الأشراف للبلاذري (٥/ ٣١٥)

[2] أنساب الأشراف للبلاذري (٤/ ٣٣٧ - ٣٣٨)، ومرآة الزمان (١١/٨).

الشام وانضم المنهزمون من معركة الحرّة إلى ابنِ الزُّبَيْر، وقَدِمَ على ابنِ الزُّبَيْرِ أَيْضاً **نَجْدَةُ بْنُ عامِرٍ الحَنَفِيُّ** في ناسٍ مِنَ الخَوارِجِ، وذلك لمنع البيت من أهل الشّام، وكان عددُ المقاتلينَ الذينَ اشتَركوا مع ابنِ الزُّبَيْرِ أَقلُّ بكثيرٍ مِنَ المقاتلين الذين اشتركوا في معركة الحرَّة، فلم تكنِ القوات متكافئة، وتحوَّلَ الوضعُ لصالح الحُصَيْنِ بنِ نُميْرٍ، بعد أَنْ مُنيَ ابنُ الزُّبَيْرِ بفقد خيْرَة أَصْحابِه.

وفي أثناء احتدام المعارك بين ابنِ الزُّبَيْرِ والحُصَيْنِ بنِ نُميْرٍ ، وصلَ الخبرُ بموتِ يزيدَ، فأرسل الحُصيْنُ إلى ابنِ الزُّبَيْرِ واجتمَعَ به وفاوَضَه في الخِلافَةِ، فالتقيا وتَحادَثا طَويلاً واشتَدَّ بينهما الجدَلُ، وكانَ فيما قالَ الحُصَيْنُ لابنِ الزُّبَيْرِ وهو يدعوه للخِلافَةِ: " إِنْ يَكُ هَذا الرَّجُلُ قَدْ هَلَكَ فَأَنْتَ أَحَقُّ النّاسِ بِهَذا الأَمْرِ، هَلُمَّ فَلْنُبايِعْكَ، ثُمَّ اخْرُجْ مَعي إِلَى الشّامِ، فَإِنَّ هَذا الْجُنْدَ الَّذينَ مَعي هُمْ وُجوهُ اهل الشام وفرسانهم، فو الله لا يَخْتَلِفُ عَلَيْكَ اثْنانِ، وَتُؤَمِّنُ النّاسَ وَتَهْدِرُ هَذِهِ الدِّماءَ الَّتي كانَتْ بَيْنَنا وَبَيْنَكَ، والَّتي كانَتْ بَيْنَنا وَبَيْنَ أَهْلِ الْحَرَّةِ" فَقالَ ابنُ الزُّبَيْرِ: أَنا أَهْدِرُ تِلَكَ الدِّماءَ! أَما واللهِ لا أَرْضَى أَنْ أَقْتُلَ بِكُلِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ عَشَرَةً"، فافترقا.

ورَجعَ الحُصينُ بالجيشِ إِلى الشّامِ، وهنا أَعْلَنَ ابنُ الزُّبَيْرِ البَيْعَةَ لنَفْسِهِ.

الفتوحات:

على من الرَّغْمِ من الأَحْداثِ الخَطيرةِ والخُطوبِ العَظيمةِ التي مرَّ ذِكْرُها فإنَّ الفتوحاتِ الإسلاميةِ لم تتوقَّفْ بالكلية وإِنْ هدأَتْ في مُعْظَمِ الجِهاتِ.

ففي أفريقيا واصلَ **عقبةُ بنُ نافعٍ** الفتوحات غَرْباً، فَفتَح بلادَ المغْربِ كلَّها ووصل إلى المحيط الأطلسي، ويُرْوى أَنَّ عقبةَ صعدَ على رَبْوةٍ مقابلَ المحيطِ وقال: يا ربّ لولا هذا البحرُ لمضَيْتُ مُجاهداً في سبيلكَ، ولو كنْتُ أَعْلمُ بعدَه أَرْضاً وناساً لخضته إِليهم.

وفاة يزيد:

توفي يزيد (ربيع أول ٦٤ هـ) وله نَيِّف وثلاثون سنة، ودامَتْ خِلافَتُه أربع سنوات.

شأنُ مُعاويَةَ الأصْغر:

كانَ يزيدُ بنُ مُعاويَةَ قد كتبَ بولايةِ العَهْدِ لولَدِه مُعاويَةَ بنِ يزيدَ، (مُعاويَة الأَصْغر)، وتتَّفقُ المصادِرُ التّاريخيةُ على وصْفِ مُعاويَةَ هذا بالصَّلاحِ والتَّقْوى والبُعْدِ عن الدنيا والتَّرفُّع عنها، فبويعَ له بالخِلافَةِ بعد موتِ أَبيهِ، في رابعَ عشرَ ربيعٍ الأَوَّل سنةَ أربعٍ وستّين هجرية، وكانَ مريضاً، ولهذا لم يؤثر له عمَلٌ ما مُدَّةَ ولايته التي لم تَزدِ عن ثلاثةِ أَشْهُرٍ، حتى الإِمامةَ في الصَّلاةِ لم يقم بها، فقد أمرَ **الضَّحاكَ بنَ قيْسٍ** أَنْ يُصلّي بالنّاسِ، ويُسيِّرَ الأمورَ[1].

ولما أحسَّ مُعاويَةُ بنُ يزيدَ بدنو أجَلِه نادي في النّاس: "الصَّلاةُ جامِعَةٌ"، وخطَب فيهم قائلاً: "أيها النّاس إنّي قد ولّيتُ أَمْرَكم وإنّي ضعفْتُ عن أَمْرِكم، فابتغيتُ مثلَ عمَرَ بنِ الخطّابِ حين استخلَفَه أبو بكرٍ فلم أَجِدْه، فابتغيت ستَّةً مثل ستَّةِ الشّورى فلم أَجِدْهُم، فأَنْتُم أَوْلى بأَمْرِكم فاختاروا له من أَحبَبْتُم" ثمَّ دخل منزلَه وتغيَّب حتى ماتَ.

واعتُبِرَ هذا الموقفُ منه دَليلاً على عدمِ رِضاهُ عن تَحويلِ الخِلافةِ من الشّورى إلى الوراثة، فقد رفضَ أَنْ يعهَدَ لأَحَدٍ من أَهْلِ بيته حينما قالوا له: "اعهد إلى أحدٍ من أهلِ بيتك"، فقال: "والله ما ذقتُ حَلاوةَ خِلافتِكم، فكيفَ أتقلَّدُ

---

[1] استمرَّ الضحاك يصلي بالنّاس بعد وفاة مُعاويَة، إلى أَنْ استقرَّ الأمرُ بالشام لمروان بن الحكم.

وزْرَها، وتتعجَّلون أنتم حَلاوَتَها، وأتعجَّل مَرارتها، اللهم إنّي بريءٌ منها، مُتخلٍّ عنها".

ماتَ مُعاويَةُ بنُ يزيدَ عن إِحْدى وعشرينَ سنَة، وقيل غير ذلك، رحمه الله تعالى.

ولكونه رحمه الله لم يقم بأعباء الولاية ولم تستقر له الأمور لم يُعدّ من الخلفاء. وإنما صحَّت الخِلافةُ لعبدِ اللهِ بنِ الزُّبَيْرِ.

خلافة عبدِ اللهِ بنِ الزُّبيرِ

رضي الله عنهما

(٦٤-٧٣هـ)

هو عبد الله بن الزُّبَيْرِ بن عوام، وأمه أسماء بنت أبي بكر الصديق، ولد بالمدينة، بعد الهجرة بسنة، وهو أول مولود للمهاجرين، لذا فرح به المسلمون، فقد كان هناك ادعاء أَنَّ عقماً أصاب المهاجرين، وهو صحابي جليل، روى عن الرسول (٣٣) حديثاً، شهِدَ اليرموك، ودافع عن سيدنا عُثْمانَ يوم الدار، وجرح آنذاك.

شارك في غزو القسطنطينية، وكانت له فتوحات في أفريقية في أيام مُعاويَةَ، كان كثيرَ العِبادةِ، وكان فارسَ الخُلفاءِ لا يوازيه أَحَدٌ في شجاعتِه.

بيعته:

تقدم أَنَّ ابن الزُّبَيْرِ دعا لنفسه بعد وفاة يزيد، فبايعه أهل المدينة ومكة، واستقرت له الأمور فيهما، ثم بايعه أهل الأمصار، ولم يبق لبني أمية إلا جزء من الشام فقط، وصار - ابن الزُّبَيْرِ - خليفةً للمسلمين.

بايع الأمويون بعد مُعاويَةَ الأَصْغرِ لِمَروانَ بنِ الحَكَمِ عام (٦٤هـ)، فاستطاع أَنْ يُخضِعَ الشّامَ لسيطرتِه، ثم استولى على مصر، وتوفي عام (٦٥هـ)، بعد أَنْ عهِدَ لابْنِهِ عبدِ الملك.

حركة المختار الثقفي (٦٤-٦٧هـ)

هو المختار بنُ أَبي عُبيدِ بنِ مَسعْودٍ الثقفي، أبو إسحاق، كان من أَتْباعِ ابنِ الزُّبَيْرِ بمكَّة، وقدِ اغترَّ به ابنُ الزبيرِ ووثِقَ فاستأذنَ ابنَ الزُّبيرِ في الذهاب إلى الكوفة ليدعو الناس إلى طاعته، فأَذِنَ له، فما كان منه إلاَّ أنْ دعا الناس إلى إمامة محمَّدِ ابنِ الحنفيَّة[1]، فبايعه حوالي سبْعَةَ عشرَ ألف رجلٍ سرّاً، فخرج بهم على والي الكوفةِ عَبْدِ اللهِ بنِ مُطيعٍ، فغلبَ عليها، واستولى على الموصل، وعظُمَ شأنه. وتتبَّع قتلَةَ الحسينِ فقتلَ مَنْ وَقَعَ تحتَ يدهِ منهم ونكَّلَ بهم، كما قَتَلَ عُبيدَ اللهِ بنَ زيادٍ[2].

عَمِلَ مصعَبُ بنُ الزُّبيرِ، أميرُ البَصرَةِ بالنّيابةِ عن أَخيهِ عبدِ اللهِ، على مُقاتَلَتِهِ، ونشبَتْ بينهما وقائع ومعارك انتهت بحصرِ المختار في قصرِ الكوفةِ، وقتلهِ ومَنْ كانَ معهُ، وذلكَ في رمضان سنة (٦٧هـ)، واستمرت مدَّةُ خروجه نحو ثلاث سنين، قضى منها في إمارةِ الكوفة ستَةَ عشَر شَهْراً.

ثم قضى عبدُ الملكِ بنُ مَروانَ بنفسِه على مصعَبَ بنِ الزُّبَيْرِ، سنة (٧١هـ) وأَخضَعَ العراقَ له.

ثُمَّ قَدِمُ جيشُ الأُمويِّين إلى المدينة المنورة فأَخْضَعَها.

---

[1] وقدْ تبرأ ابن الحنفيَّةِ من المختار هذا، ولما قيلَ له: إِنَّ المختارَ أَكلَ باسمِكَ الدُّنيا. قال: إِنَّما أَكَلَها بدينِهِ. إشارة إلى كذب دعواه.

[2] ويقال: إنه الكذّابُ الذي أشار إليه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: "في ثَقيفٍ كَذّابٌ وَمُبيرٌ"، أخرجه الترمذي في الفتن، باب: ما جاء في ثقيف كذاب ومبيرٌ (٢٢٢١).

مقتلُ ابنِ الزُّبَيْرِ وإخْضاعُ الحِجازِ:

سيَّر عبد الملك جيشاً كبيراً إلى مكة بقيادة قائده الشهير الحجاج بن يوسف الثقفي، وكان ابن الزُّبَيْرِ مُتحصِّناً بها، حاصر الحجّاجُ مكَّة، وضرب الكعبة بالمنجنيق، وتخاذل النّاس عن ابن الزُّبَيْرِ، فقاتل مع خاصته بشجاعةٍ نادرةٍ عند الكعبة، حتى سقطت عليه إحدى شرفات الكعبة فقتلته في عام (٧٣هـ).

فخضعت الحجاز لعبد الملك، وهكذا خضعت له الأمصار كلها فصار هو الخليفة في عام (٧٣هـ).

دامت خلافة عبد الله بن الزُّبَيْرِ رضي الله عنهما تسع سنوات تقريباً.

عبد الملك بن مروان

(٧٣-٨٦هـ)

هو عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية، ولاَّه مُعاويَة على المدينة وعمره (١٦) عاماً، وكان قبل خلافته عابداً زاهداً فقيهاً، ومن علماء المدينة، شارك في فتوحات أفريقيا عام (٤١-٤٥هـ).

في سنة (٦٥هـ) تولَّى الأمر بعد وفاة والده مروان بن الحكم، وكان الخليفة ابنُ الزُّبَيْرِ فانتزع العراق من ابنِ الزُّبَيْرِ، ثم أَخضَع الحِجازَ كلَّها بعد أَنْ قتلَ ابنَ الزُّبَيْرِ، فبايعته باقي الأمصار، وغدا خليفةً منذ عام (٧٣هـ)، فاستقر الوضع له تماماً.

الفتوحات:

لم تحدث فتوحات واسعة في عهده لانشغاله في قتال الخوارج وقتال ابن الأشعث، وعاد إلى قتال الروم وكانوا يهددون بلاد الشام.

وفي أيامه أعيد فتح بلاد المغرب، وأشهر القادة في ميدان الشمال الأفريقي **موسى بن نصير** الذي أعاد الاستقرار للمنطقة بعد استشهادِ عُقبةَ بنِ نافعٍ، وفتحَ طنجَةَ وسبتَة.

حارب الترك في الشرق وبلاد ما وراء النهر، وسار محمد الثقفي لفتح السند.

ولم تحصل فتوحات واسعة في الشرق ولكن الاستقرار في عهده مهد لفتوحات عظيمة في عهد ولده الوليد.

فتنــة ابن الأشعث ، وموقف العلماء منها

تُعَدُّ فتنةُ ابنِ الأَشْعثِ منَ الفتنِ التي هزَّت الأمة الإسلامية، وكادت تطيح بالخلافة زمن بني أمية؛ وقدْ كان ابتداؤها سنة إِحْدى وثمانينَ، واستمرت إلى سنة خمس وثمانين للهجرة، وكان من شأنه ما لخَّصَه الحافظ ابن كثير في تاريخه.

قال الحافظ ابن كثير: كان سبب هذه الفتنة أَنَّ ابن الأشعث **كان الحجاج يبغضه، وكان هو يفهم ذلك، ويضمر للحجاج السوء وزوال الملك عنه**، ثم إنَّ الحجّاجَ بنَ يوسفَ نائب الخليفة عبد الملك بن مروان على العراق جهَّز جيشاً من البَصْرَة والكوفة وغيرهما لقتال رُتْبيل الكافر ملك الترك، الذي آذى أهل الإسلام وقتل فئات منهم، وأمَّر الحجّاجُ على ذلك الجيش ابنَ الأَشعَث، مع أنَّه كان يُبغضه - كما تقدَّم - حتى إنَّه كان يقول: ما رأيته قط حتى هممت بقتله. ودخل ابنُ الأَشعَث يوماً على الحجاج وعنده عامر الشَّعبيُّ، فقال الحجّاجُ: انظر إلى مشيته!! والله لقد هممت أَنْ أضرب عنقه. فأخبر الشعبيُّ ابنَ الأشعث بما قال الحجاج، فقال ابن الأشعث: وأنا والله لأجهدنّ أَنْ أزيله عن سلطانه إن طال بي البقاء.

فسار ذلك الجيش بإمرة ابنِ الأشعَثِ، حتى وطئ أرضَ (رُتْبيل)، ففتح مدناً كثيرة، وغنم أموالاً كثيرةً، وسبى خلقاً من الكفار، ورُتْبيل ملك الكفار يهرب منهم من مدينة لأخرى.

ثم إن ابن الأشعث رأى لأَصْحابِه أَنْ يوقفوا القتال، حتى يتَقوّوا إلى العام المقبل، ولتستقرَّ الأمور في البلاد التي فتحوها.

فكتب إليه الحجاج يأمره بالاستمرار في القتال، **ويذمُّه ويُعيِّره بالنكول عن الحرب، فغضب ابن الأشعث**، ثم سعى في تأليب النّاس على الحجاج. وقام والد ابن الأشعث - وكان شاعراً خطيباً - فقال: إنَّ مثل الحجاج في هذا الأمر ومثلنا كما قال القائل: (احمل عبدَك على الفرس، فإنْ هلكَ هلكَ، وإنْ نجا فلَكَ) إنكم إنْ ظفرتم كان ذلك زيادة في سلطان الحجاج، وإن هلكتم كنتم الأعداء البغضاء.

ثم قال: **اخلعوا عدو الله الحجاج - ولم يذكر خلع الخليفة** - اخلعوا عدو اللهِ الحجّاجَ وبايعوا لأميركم عبد الرحمن بن الأشعثِ، فإني أُشْهِدُكم أنّي أول خالعٍ للحجاج. فقال النّاس من كلِّ جانبٍ: **خلعنا عدو الله الحجاج - وكانوا يُبْغِضونَه** - ووثبوا إلى ابن الأشعث فبايعوه، **ولم يذكروا خلع الخليفة.**

وبعد بيعة الفتنة تلك **تبدَّلت الأمور، ووقع ما لم يكن في الحسبان**، فقد **انصرف ابن الأشعث عن قتال الترك الكفرة!! وسار بجيشه المفتون مُقبلاً إلى الحجاج ليقاتله ويأخذ منه العراق**، فلما توسَّطوا في الطريق، قالوا: إنَّ خَلْعَنا للحجاج خَلْعٌ لابن مروان، **فخلعوا أمير المؤمنين عبد الملك بن**

مروان، وجدّدوا البيعة لابن الأشعث، فبايعوه على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وخلع أئمة الضَّلالة وجهاد الملحدين.

فلما بلغ الحجاج ما صنعوا مِن خلْعِه وخلْعِ أمير المؤمنين، كتب إلى الخليفة بذلك يُعلِمه، **ويستعجله في بعثه الجنود إليه**، فانزعج الخليفة واهتم وسعى الناصحون المصلحون في درء الفتنة.

فكتب المهلَّب بنً أَبي صُفْرة إلى ابن الأشعث **يُحذِّره، وينهاه عن الخروج على إمامِهِ وقال**: (إنك يا ابن الأشعث قد وضعت رجلك في ركابٍ طويلٍ، أَبْقِ على أمَّة محمد صلى الله عليه وسلم، الله الله!! انظر لنفسك فلا تُهلكها، **ودماء المسْلِميْنَ فلا تسفكها، والجماعة فلا تفرقها، والبيعة فلا تنكثها**، فإن قلت: أخافُ النّاس على نفسي! فالله أحقُّ أَنْ تخافه من النّاس، فلا تُعرِّضها لله في سفك دمٍ أو استحلال محرم، والسلام عليك).

ثم أخذ الخليفة عبد الملك في تجهيز الجنود في نصرة الحجاج **في قتاله الخارجين على الجماعة**، وجعل المفتونون يلتفّون على ابن الأشعث من كلِّ جانبٍ، حتى قيل إنه سار معه ثلاثة وثلاثون ألف فارس ومئة وعشرون ألف راجل!!!

حتى دخلوا البَصْرَة، فخطب ابن الأشعث وبايعهم، وبايعوه على خلع الخليفة ونائبه الحجاج بن يوسف، وقال لهم ابن الأشعث: (ليس الحجاج بشيءٍ، ولكن اذهبوا بنا إلى عبد الملك الخليفة لنقاتله، **ووافقه على خلعهما جميع من بالبَصْرَة من الفقهاء والقراء والشيوخ والشباب).**

قال الحافظ ابن كثير: **وتفاقم الأمرُ وكَثُرَ مُتابع ابن الأشعث على ذلك، واشتد الحال وتفرقت الكلمة جداً، وعظُم الخطب واتسع الخرق** ا.هـ.

ثم التقى جيش الخليفة وجيش ابن الأشعث، فقال القراء الذين خلعوا البيعة: أيها النّاس **قاتلوا عن دينكم ودنياكم**.

وقال عامِرٌ الشَّعبيُّ - وكان من الأئمة، لكن ابن الأشعث فتَنَهُ -: **قاتلوهم على جَوْرِهِم، واستغلالهم الضعفاء!! وإماتتهم الصلاة**.

ثم بدأ القتال، ما بين كرٍّ وفرٍّ، يقتتل النّاسُ كلَّ يومٍ قِتالاً شديداً، حتى أصيب من رؤوس النّاس خلقٌ كثيرٌ، واستمر هذا الحال مدَّة طويلةً، ثم كتب الخليفة إلى ابن الأشعث ومن معه يقول: (إنْ كان يُرْضيكُم منّي عزلُ الحجّاجِ خلعْتُه، وأبقيتُ عليكم أُعطياتِكم، وليخيَّر ابنُ الأَشْعَثِ أي بلدٍ شاء يكون عليه أميراً ما عاش وعشت).

فلما بلغ ذلك ابن الأشعث خطب النّاس وندبهم إلى قبول ما عرضه عليهم أمير المؤمنين من عزل الحجاج وإبقاء الأعطيات، **فثار النّاس من كل جانب، وقالوا: والله لا نقبل ذلك، نحن أكثر عدداً وعدَّة!!**

ثم جدَّدوا خلع الخليفة عبد الملك واتفقوا على ذلك كلهم، واستمر القتال بين الفئتين مئة يوم وثلاثة أيام - على ما قاله ابن الأثير -.

وصبر جيش الخليفة بقيادة الحجاج، بالحرب، **فأَمَرَ بالحملة على كتيبةِ القُرّاءِ الذين خلعوا الخليفة**، لأنَّ النّاس كانوا تَبَعاً لهم، وهم الذين يحرِّضونهم على القتال، والنّاس يقتدون بهم، فحمل جيش الحجاج عليهم، **فقتل منهم خلقاً كثيراً**، وبعدها انهزم ابن الأشعث ومن معه، فلحقهم جيش الحجاج يقتلون ويأسرون، **وهرب ابن الأشعث ومعه جمع قليل من النّاس، فأرسل الحجاجُ**

خلفه جيشاً كثيفاً ليقتلوه ويأسروه ففرَّ ابن الأشعث حتى دخل هو ومن معه إلى بلاد رُتبيل الكافر ملك الترك!!! فأكرمه وأنزله عنده وأَمَّنَه وعظَّمه كيداً للمسلمين.

هرب ابن الأشعثِ بعد أَنْ أثار فتنة أهلكت الحرث والنسل فقُتِل مِن أتباعه مَن قُتِل، وأُسِر كثيرٌ منهم، فقتلهم الحجاج بن يوسف، وهرب من بقي منهم، ومنهم عامر الشعبي الإمام الثقة، فأمر الحجاج أَنْ يُؤْتى بالشعبي فجيء به حتى دخل على الحجاج.

قال الشعبي: فسلمت عليه بالإمرة، ثم قلت: أيها الأمير، إن النّاس قد أمروني أَنْ أعتذر إليك بغير ما يعلم الله أنه الحق، ووالله لا أقول في هذا المقام إلا الحق، قد والله تمرَّدنا عليك وحرَّضنا، وجهدنا كل الجهد، **فما كنا بالأتقياء البررة، ولا بالأشقياء الفجرة، لقد نصرك الله علينا، وأظفرك بنا**، فإن سطوت فبذنوبنا، وما جرت إليك أيدينا، وإن عفوت عنا فبحلمك، وبعد فالحجَّة لك علينا.

فقال الحجاج لما رأى اعترافه وإقراره: أنت يا شعبي أحبُّ إلي ممن يدخل علينا يقطر سيفه من دمائنا، ثم يقول ما فعلت ولا شهدت، قد أمنت عندنا يا شعبي.

ثم قال الحجاج: كيف وجدت النّاس بعدنا يا شعبي؟ وكان الحجاج يكرمه قبل دخوله في الفتنة.

فقال الشعبي مخبراً عن حاله بعد مفارقته للجماعة: أصلح الله الأمير؛ قد اكتحلتُ بعدك السهر!! واستوعرتُ السهول!! واستجلستُ الخوف!! واستحليتُ الهمَّ!! وفقدتُ صالحَ الإخوان!! ولم أجد من الأمير خلَفاً!!

فقال الحجاج: انصرف يا شعبي، فانصرفَ آمنا.

ثم شرع الحجاج في تتبع أصحاب ابن الأشعث، فقتلهم مثنى وفرادى!!! حتى قيل إنه قُتِلَ منهم بين يديه مئة ألف وثلاثين ألفاً!!! منهم محمد بن سعد ابن أبي وقاص، وجماعاتٌ من السادات، حتى كان آخرهم سعيد بن جبير رحمه الله.

وكان ممن تبع ابن الأشعث طائفة من الأعيان منهم (مسلم بن يسار، وأبو الجوزاء، وأبو المنهال الرياحي، ومالك بن دينار) وقد حاول أن يستميل الحسن البصري، وذلك أنه قيل لابن الأشعث: «إنْ سرَّك أَنْ يُقتلوا حولك كما قُتلوا حول جمل عائشة، فأخْرِجِ الحسنَ، فأرسلَ إليه، فأكرهَهُ».

وعن ابن عون قال: «استبطأ النّاسُ أيام ابن الأشعث؛ فقالوا له: أخْرِجْ هذا الشيخ - يعني الحسن - قال ابنُ عون: **فنظرتُ إليه بين الجسرين، وعليه عمامةٌ سوداء. قال: فغفلوا عنه، فألقى نفسه في بعض تلك الأنهار، حتى نجا منهم، وكاد يومئذٍ أَنْ يهلك**».

وكان ممن خرج أيضاً: سعيد بن جبير، وابن أبي ليلى الفقيه، وطَلْحَةُ بْنُ مُصرِّفٍ، وعطاءُ بنُ السّائبِ، وغيرهم.

قال أيوب: **فما منهم من أحد صُرِع مع ابن الأشعث إلا رغب عن مَصْرَعِه، ولا نجا أحد منهم إلا حمد الله أَنْ سلَّمه!!!**

ثم إن الحجاج كتب إلى رُتْبيل ملك الترك الذي لجأ إليه ابن الأشعث، يقول: «**والله الذي لا إله إلا هو، لئن لم تبعث إلي بابن الأشعث لأبعثن إليك بألف ألف مقاتل ولأخربنّها**».

فلما تحقَّق الوعيد من الحجاج استشار في ذلك بعض الأمراء فأشاروا عليه بتسليم ابن الأشعث قبل أَنْ يخرب الحجاج دياره، ويأخذ عامة أمصاره، **فعند**

ذلك غدر رُتْبيلُ بابنِ الأَشْعَث فقبض عليه وعلى ثلاثين من أتباعه، فقيَّدهم بالأصفادِ وبعثهم مع رسل الحجاج إليه.

فلما كانوا ببعض الطريق بمكانٍ يقال له (**الرخج**) صعد ابنُ الأشعث وهو مقيدٌ بالحديدِ إلى سطح قصر، ومعه رجلٌ موكَّلٌ به لئلا يفرَّ **فألقى ابن الأشعث بنفسه من ذلك القصر، وسقط معه الموكَّلُ به فماتا جميعاً**، فعمد الرسول إلى رأْسِ ابن الأشعث فاحتزَّه، وقتل من معه من أصحابه، **وبعث برؤوسهم إلى الحجاج، فأمر فطيْفَ برأس ابن الأشعث في العراق، ثم بعثه إلى أمير المؤمنين عبد الملك فطيْفَ به في الشام، ثم بعث به إلى أخيه عبد العزيز بمصر فطيْفَ برأسه هناك، ثم دُفن.**

قال الحافظ ابن كثير: **والعجب كل العجب من هؤلاء الذين بايعوه بالإمارة** كيف يعمدون إلى خليفة قد بويع له بالإمارة على المسْلِميْنَ من سنين، فيعزلونه وهو من صلبية قريش، ويبايعون لرجلٍ هنديٍّ بيْعَة لم يتَّفق عليها أهل الحلِّ والعقد!!!

ولهذا لمّا كانت هذه زلَّةٌ وفلتة نشأ بسببها شرٌّ كثير، هلك فيه خلق كثير، فإنّا لله وإنّا إِلَيْهِ راجِعون. ا.هـ.

ذكر ابن الأثير في تاريخه: أَنَّ رجلاً من الأنصار جاء إلى عمر بن عبد العزيز فقال: أنا ابن فلان بن فلان، قتل جدي يوم بدر، وقتل جدي فلان يوم أحد، وجعل يذكر مناقب سلفه، فنظر عمر إلى جليسه فقال: هذه المناقب والله، لا يوم الجماجم ويوم راهط، من الخروج وحمل السلاح على المسْلِميْنَ، ولا حول ولا قوة إلا بالله رب العالمين.

إن فتنة ابن الأشعث كانت فتنة عظيمة فرَّقت الكلمة، وقتل فيها أكثر من مئة ألف مسلم، وفي هذه الحادثة فوائد منها:

أولها: أَنَّ للفتن في أول نشوئها لذة وحلاوة تستهوي كثيراً من النّاس، إلا مَن عصمه الله ونجّاه، وقد خرج كثير من القراء مع ابن الأشعث، فضلاً عن عامَّة النّاس، كان كلامهم في أول الفتن قوياً ومهيجاً، تكلَّم مُتكلِّموهم، وأبدع خطباؤهم، في التحريض على قتال جند الخليفة.

قال أبو البختري: أيها النّاس قاتلوهم على دينكم ودنياكم، فوالله لئن ظهروا عليكم ليُفْسدُنَّ عليكم دينَكم، وليَلُنَّ على دنياكم.

قول عامر الشعبي: أيها النّاس قاتلوهم، ولا يأخذْكم حرج من قتالهم، واللهِ ما أعلم على بسيط الأرض أعملَ بظلمٍ ولا أعملَ بجورٍ منهم.

وقال سعيد بن جبير نحو ذلك.

ولو كانوا يعلمون ما ستؤول الأمور إليه لما قالوا ما قالوا، ولكنها الفتن تَعمى فيها الأبصار.

ثانياً: إذا وقعت الفتن فإن ضحاياها الأبرار والفجار، قال الله تعالى: ﴿واتَّقوا فِتْنَةً لا تُصيبَنَّ الَّذينَ ظَلَموا مِنْكُمْ خاصَّةً واعْلَموا أَنَّ اللهَ شَديدُ العِقابِ﴾ [الأنفال: ٢٥]

ذكر ابن الأثير في تاريخه: أَنَّ الحجّاج لما غلب جيش ابن الأشعث أخذ يبايع النّاس وكان ظالماً، وكان لا يبايع أحداً إلا قال له: اشهد على نفسك أنَّك كفرت - يعني بنقضك البيعة وحملك السلاح - فإن قال نعم بايعه، وإلا قتَله.

فأتاه رجل من خثعم كان معتزلاً للناس كلهم، فسأله الحجاج عن حاله فأخبره باعتزاله، قال الحجاج، بل أنت متّربص بنا، أتشهد أنك كافر؟ قال الرجل: بئس الرجل أنا، أعبدُ الله ثمانين سنة، ثم أشهد على نفسي بالكفر. قال

الحجاج: أقتلُك إذاً؟ قال الرجل: وإن قتلتَني. فقتله الحجاج، ولم يبق أحد من أهل الشام والعراق إلا رحمه، وحزن لقتله.

ثالثاً: إذا ولَّت الفتنة مدبرة، عند ذلك يندم من دخل فيها لما يراه من الفساد والشرِّ الذي نتج عنها، واستمع إلى أهلها وقد جيء بهم حتى أوقفوا بين يدي الحجاج بن يوسف. ها هو فيروز بن الحصين أُسر فأُتيَ به إلى الحجاج فقال له: أبا عُثْمان!! ما أخرجك مع هؤلاء، فوالله ما لحمك من لحومهم ولا دمك من دمائهم؟ فقال: أيها الأمير فتنة عمّتْ، فأمر به الحجاج فضربت عنقه.

ثم دعا الحجاج بعمر بن موسى فجيء به موثقاً، فعنّفه الحجاج، فاعتذر، وقال: أصلح الله الأمير!! كانت فتنةً شملت البرّ والفاجر، فدخلنا فيها، فقد أمكنك الله منا، فإن عفوت فبفضلك، وإن عاقبت ظلمت مذنبين. فقال الحجاج: أما إنها شملت البر والفاجر، فقد كذبت، ولكنها شملت الفاجر وعوفيَ منها الأبرار، وأما إقرارك فعسى أَنْ ينفعك، فرجى له النّاس السلامة، لكن الحجاج أمر به فضُربت عنقُه.

ثم دعا الحجاج بـ(الهلضام بن نعيم) فقال: ما أخرجك مع ابن الأشعث؟ وما الذي أَمَّلْت؟ فقال الرجل: أَمَّلْت أَنْ يملك ابن الأشعث فيولّيَني العراق، كما ولاَّك عبد الملك، فقتله الحجاج.

ثم دعا بأعشى همدان وقد تبع ابن الأشعث، وعمل الشعرَ في التحريض على قتال الخليفة، فلما دخل على الحجاج أنشد يعتذر:

أبى اللهُ إلا أَنْ يتمِّمَ نورَه ... ويطفئ نارَ الفاسقين فتَخمدا

فقَتلاهمُ قتلى ضلالٍ وفتنةٍ ... وجيشهمُ أَمسى ذليلاً ممرَّدا

فما لبثَ الحجّاج أنْ سلَّ سيفَه ... علينا فولَّى جيشُنا وتبدَّدا

جنـــود أمـــيرِ المـــؤمنين وخيلُـــه وســـلطانُه أمســـى عزيـــزاً مؤيَّـــدا
ليهنـــأ أمـــيرُ المـــؤمنين ظهـــورَه علـــى أمـــةٍ كـــانوا سُـــعاةٍ وحُسَّـــدا
نزلـوا يشـتكون البغـيَ مـن أُمـرائهم وكـــانوا هـــمُ أبغـــى البُغـــاةِ وأعنَـــدا

فقال الحجَّاجُ: والله يا عدو الله لا نحمدك، وقد قلتَ في الفتنة ما قلت، وحرّضتَ النّاس علينا، فضُربت عنقه وألحق بأصحابه.

رابعاً: إذا وقعت الفتنة سعى أهلها في استدراج بعض الخواصّ إليهم ليحتجّوا بهم عند العامة، وقد قيل لابن الأشعث: إذا أردت أَنْ يقاتل النّاس حولك كما قاتلوا حول هودج عائشة فأَخْرِج الحسن البصري معك، فأَخْرَجَه. وخرج مع ابن الأشعث بعض الأئمة، كسعيد بن جبير، ومالك بن دينار وغيرهما، ففُتِن النّاس والمعصوم من عصمه الله. **ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يستعيذ بالله من الفتن ويأمر بذلك في كل صلاة، لأن بعضها يجعل الحليم حيراناً، ذلك أَنَّ أهل الفتنة يزيّنون فعلهم بكثرة موافقيهم**. فابن الأشعث قاتل معه أكثر من مئة وخمسين ألفاً، وتبعه جماعة من السادات، لكن فعلهم لم يكن مرضياً، إذ هو خلاف النصوص الآمرة بالجماعة والصبر، الناهية عن الخروج والفرقة والمنازعة. قال أيوب: ما منهم من أحد صرع مع ابن الأشعث إلا رغب عن مصرعه، ولا نجا من نجا منهم إلا حمد الله وسلمه.

قال الإمام ابن بطة العكبري في التحذير والاغترار بالكثرة: والنّاس في زماننا أسراب كالطير يتبع بعضهم بعضاً!! لو ظهر فيهم من يدعي النُّبوَّة - مع علمهم بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء - أو من يدعي الربوبية لوجد على ذلك أتباعاً وأشياعاً.

خامساً: أَنَّ عاقبة الفتن وخيمة، ومآل أهلها الخسران، فها هو ابنُ الأشعث خرج على جيش إسلامي مجاهداً في سبيل الله، ثم صار رأساً في الفتنة، فترك قتال الكفار وهجم على أهل الإسلام!! وقُتِل بسببه جمعٌ كثير، واضطربت الأمور وكثُر الشر، ثم آلت به الحال أَنْ يلجأ إلى ملك الكفار الذي كان يقاتله بالأمس، ففرح به الكافر وأكرمه إِغاظةً للمسلمين.

وهكذا الفتن تقود صاحبها إلى ما لا يريد، لقد غدر به الملك الكافر وأرسله موثَّقاً إلى الحجاج، فأُسْقِط في يده، فلما كان ببعض الطريق، صعد قصراً فألقى نفسه، فمات، **فمن كان يظن أَنَّ نهايته تكون كذلك.**

سادساً: لقد ألبس ابن الأشعث فتنته هذه لباس الشرع، وأوهمهم أنها إنكار للمنكر ونصرة للدين، لكن الباطن خلاف ذلك، قد ذكر ابن كثيرٍ أَنَّ الحجاج كان يبغض ابن الأشعث، ويقول: ما رأيته قط إلا وأردت قتله، وهو يعلم ذلك، وكان يهدد ويقول: وأنا والله لأجهدن أَنْ أزيل الحجاج عن سلطانه إن طال بي البقاء. فبيَّن سبب تلك الفتنة كره ابن الأشعث للحجاج، ثم جمع حوله من يبغضون الحجاج، فانظروا كيف استغل كره النّاس ليثأر منه ويُنَكِّد عليه!!

ولهذا فمن دعا إلى مفارقة الجماعة وإثارة الفتنة فهو صاحب هوىً مريض قلب، مخالف للسُّنّة، وإن ظهر فعله ذلك في صورة إنكار للمنكر.

سابعاً: إذا وقعت الفتنة، فإن أوّلَ من يصطلي بنارها مَن أوقدها، فتنقلب الأمور عليهم، ويتسلَّط الجُهّال من أتباعهم حتى يكون الأمر والنهي عليهم.

وقد كتب الخليفة إلى ابن الأشعث عزل الحجاج وتوليته مكانه، وبقاء أعطيات النّاس، فمال إلى ذلك ابن الأشعث، فخطب النّاس وقال: اقبلوا ما عرض عليكم، وأنتم أعزّاء أقوياء، فوثب الجهال من كل مكان يقولون: لا

والله لا نقبل نحن أكثر منهم عدداً وعدَّة، وأعادوا خلع الخليفة ثانية، وبايعوا ابن الأشعث، **فانصاع لأمرهم ووافقهم حتى آل أمره إلى ما آل إليه.**

ثامناً: من فارق الجماعة ودخل في الفتنة فهو في غربة ووحشة، ومآله أَنْ يتخلى عنه أحبابه وأعوانه، ها هو الشعبي يصف حاله بعد أَنْ خلع البيعة ودخل مع ابن الأشعث: فقدتُ صالحَ الإخوان ولم أجد من الأمير خلفاً.

من أجل ذلك كان الأئمة يحرصون على الاجتماع زمن الفتن، يقول حنبل: اجتمع فقهاء بغداد في ولاية الواثق إلى أبي عبد الله - يعني الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله - يقولون له: إن الأمر تفاقم وفشا - يعنون إظهار القول بخلق القرآن، ولا نرضى بإمرته ولا سلطانه، فناظرهم الإمام أحمد في ذلك وقال: **عليكم بالإنكار في قلوبكم، ولا تخلعوا يداً من طاعة، لا تشقوا عصا المسْلِميْنَ ولا تسفكوا دماءكم ودماء المسْلِميْنَ معكم، وانظروا في عاقبة أمركم، واصبروا حتى يستريح بَرٌّ ويُستراح من فاجر، وقال لهم: ليس هذا - يعني نزع أيديهم من طاعتهم - صواباً، هذا خلاف الآثار.** ا.هـ.

الإمام أحمد يقول هذا، وقد آذاه السلطان وجلده وسجنه، ثم منعه من لُقيا النّاس، لكن أهل السنة أهلُ عدل واجتماع ومتابعةٍ للنصوص يرجون ما عند الله تعالى.

وآخرها: أَنَّ هذه الفتنة تدل على أهمية التمسك بالآداب الشرعية زمن الفتن، فمن تلك الآداب:

١- الحذر من الفتن وعدم الاستشراف لها واعتزال أهلها.

٢- الحلم والرفق، فلا تعجل في قبول الأخبار، والأفكار والآراء، والحكم على النّاس تخطئة وتصويباً، فما كان الرفق في شيء إلا زانه، وما نزع من شيء إلا شانه.

٣- لزوم جماعة المسْلِميْنَ وإمامهم والحذر من التفرق، لقول حُذيفَةَ رضي الله عنه لَمّا ذَكَرَ لهُ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم الفِتَنَ، قالَ: فَما تَأْمُرَني إِنْ أَدْرَكَني ذَلِكَ؟ فَقالَ: «تَلْزَمُ جَماعَةَ المُسلِمينَ وَإِمامَهُمْ»[1].

٤- الالتفاف حول علماء السنة الأثبات الذين عُرفوا بثَباتِهم وعَدم تقلُّبهم، والحذر من التَّفرُّق عنهم ومنازعتهم، والصدور عن آرائهم والاستجابة لنصحهم، **وأول باب يلج الرجل منه إلى الفتنة الطعن بأمثال هؤلاء الأئمة الأعلام، والاستبداد بالرأي دونهم**، ومن يقدح في أمثال هؤلاء فهو مفتون.

٥- إذا وقعت الفتن فما كلٌّ ما يُعلم يقال، وعلى النّاس أَنْ يتركوا الأمور العظام للعلماء الكبار حِفاظاً على اجتماع الكلمة، لأنَّ مردَّ النّاس في آخر أمرهم للعلماء، فمن كان عنده رأي فليعرضه عليهم ﴿وَإِذا جاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الأَمْنِ أَوِ الخَوْفِ أَذاعوا بِهِ وَلَوْ رَدّوهُ إِلَى الرَّسولِ وَإِلَى أولي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذينَ يَسْتَنْبِطونَهُ مِنْهُمْ﴾ [النساء: ٨٣].

نضيف إلى ما ذكر أعلاه ما ورد عن ندم النّاس لأَنَّهُم لم يستمعوا إلى نصح الحسن البصري الذي أمرهم بترك قتال الحجاج:

---

[1] أخرجه البخاري في المناقب، بابُ عَلاَماتِ النُّبوَّةِ في الإِسلاَمِ (٣٦٠٦) مسلم في الإمارة، باب وجوب ملازمة جماعة المسْلِميْنَ عند ظهور الفتن (١٨٤٧).

لقد ثبت مرويّاً بإسناد صحيح من طريق الإمام أحمد بن حنبل، ومحمد بن إسماعيل البخاري: ندم كثير من النّاس على عدم الأخذ بِنُصح الحسن البصريِّ زمن فتنة ابن الأشعث، وَتَرْكِ قتالِ الحجّاج الحاكم الظالم، قالوا: **(يا ليتنا كُنّا أَطَعْناهُ، يا لَيتَنا كُنّا أَطَعْناهُ)**.

- روي البخاري في تاريخه[1] عنْ مالكِ بنِ دينار، قال: لقيت معبداً الجُهَنيَّ بمكَّة، بعد (فتنة) ابن الأشعث وهو جريحٌ، وقد قاتل في المواطن كلها، فقال: لقيت الفقهاء والنّاس، لم أرَ مثل الحسن، يا ليتنا أطعناه!! كأنَّه نادمٌ على قتال الحجّاج.

شأن الخوارج:

قوي نشاطهم في العراق والجزيرة، واستطاع القائد الأموي الملقب **المهلَّبُ بنُ أَبي صُفْرةَ** أَنْ يحقِّق انتصارات عظيمة عليهم، ويقضي على أعداد ضخْمَةٍ منهم.

ومن القادة البارزين للخوارج في هذه الفترة **قَطريُّ بنُ الفجاءَةَ**، **وشبيب الشيباني**.

أعمال هامة لعبد الملك بن مروان:

- إصدار العملة الإسلامية عام (٧٦هـ).
- إعادة بناء المسجد الأقصى.
- تعريب الدواوين (٨١-٨٦هـ)

وفاته: توفي عبد الملك بن مروان سنة (٨٦هـ) وكانت مدة حكمه من مقتل ابن الزُّبَيْرِ (١٣) سنة.

الوليد بن عبد الملك

[1] التاريخ الكبير: (٣٣٩/٧) والتاريخ الأوسط: (١٠٧٥/٢ رقم: ٨٦٧).

(٨٦-٩٦هـ)

يكنى بأبي العباس؛ تولى الخلافة بعد أبيه بعهد منه.

أهم أعماله:

- قام الوليد بإِصْلاحات وأعمال عمرانية ضخمة، منها:

- بناء جامع دمشق الكبير، وانتهى منه بانتهاء خلافته (١٠ سنوات)، فكان هذا الجامع آية في الإبداع والروعة.

- بنى صخرة القدس.

- وسع مسجد النبوي في المدينة المنورة.

الأوضاع في عهده:

كانت هادئة في كل الولايات، فقد ضعف أمر الخوارج، ولم تقم حركة تذكر في أيامه، وكان عهده عهد سعة ورخاء وأمن واستقرار، ولذلك توسَّعت الحركة العمرانية في أيامه اتساعاً كبيراً.

الفتوحات: حدثت فتوحات واسعة وعظيمة جداً، واتسمت بامتدادها على مختلف الجبهات، في المشرق والمغرب والأندلس وفرنسا.

في بلاد الروم:

وصل القائد **مسلمة بن عبد الملك** إلى عمّورية (أنقرة) وهرقلة ففتحها سنة ٨٩هـ، ووصل المسلمون إلى خليج القسطنطينية وغزوا أذربيجان وكان سكانها ينقضون مرة بعد مرة، فكثرت الغزوات في تلك الجهات عام ٩٣هـ.

وفي البحر المتوسط:

فتح المسلمون جزيرة صقيلية وميروقة سنة (٨٩هـ).

وفي أفريقية:

وطد **موسى بن النصير** الفتوحات هناك، ثم عمل على نشر الإسلام بين البربر.

فتح الأندلس:

قرر القائد **موسى بن النصير** أَنْ يعبر معبر المضيق وينشر الإسلام في بلاد أوروبا ويدخلها نطاق الدولة الإسلامية، فسيَّر **طارق بن زياد** إلى الأندلس سنة (٩٢هـ)، وصل طارق وموسى إلى جبال البرانس، وأخضعا كل تلك المناطق ماعدا جليقية.

الفتوحات شرقاً:

إذا ما توجهنا شرقا طالعنا أسماء اثنين من أبرز قادة الفتوحات في هذه المرحلة وهما **محمد بن القاسم الثقفي**، و**قتيبة بن مسلم الباهلي**:

فتوحات محمد بن القاسم الثقفي:

أرسل الحجاج بن يوسف الثقفي والي العراق - بعد أَنْ تم له القضاء على فتنة ابن الأشعث - جيشاً ضخماً إلى بلاد السند بقيادة ابن أخيه القائد الشاب محمد بن قاسم الثقفي، وقد تمكَّن هذا القائد من تحقيق انتصارات ضخمة هناك، كان من نتيجتها قتل داهر ملك السند، وفتح كامل بلاد السند في الفترة (٩٠-٩٤هـ) فكانت تلك من أعظم الفتوحات.

فتوحات قتيبة بن مسلم الباهلي في بلاد ما وراء النهر:

يعدذُ قتيبة بن المسلم الباهلي من أبرز القادة في زمن الأمويين وقد كانت له صولات وجولات في بلاد ما وراء النهر، ومن أهم فتوحاته فيها:

- فتح مدينة بيكند سنة (٨٧هـ).
- غزا بلاد الصُّغْد ونسف وكش عام (٨٩هـ).

- فتح بخارى سنة (٩١هـ).
- فتح بلاد الطالقان والفارياب وبَلْخ، ثم سمرقند عام (٩٣هـ).
- غزا بلاد الشاش وفرغانه حتى بلغ خوقند عام (٩٣هـ).
- فتح كابل في (٩٤هـ)
- فتح مدينة كاشغر (في تركستان الشرقية) عام (٩٦ه).

وباختصار فإن هذا القائد الفذَّ قد استطاع أَنْ يصل بفتوحاته إلى كل البلاد الواقعة بين النهرين، ثم واصل فتوحاته حتى دخل الصين.

فبلغت الدولة الإسلامية في هذا العهد أقصى اتساع لها عبر التاريخ.

سليمان بن عبد الملك

(٩٦-٩٩هـ)

هو سليمان بن عبد الملك بن مروان أبو أيوب.

كان قبل خلافته والياً على الرملة، وتولى الخلافة بعهد من أبيه، وكان أبوه قد عهد لولديه الوليد ثم سليمان.

الفتوحات - كانت الفتوحات محدودة في أيامه:

الجبهة الغربية:

غزا القسطنطينية براً وبحراً تحت قيادة **مسلمة بن عبد الملك** الذي رابط بنفسه هناك، وأقسم أَنْ لا يعود حتى يفتحها فتوفي في أثناء حصارها عام (٩٩هـ).

الجبهة الشرقية:

فتح **يزيد بن المهلب** جرجان وطبرستان عام (٩٨هـ).

وفاته:

توفي عام (٩٩هـ)، فكانت خلافته ثلاث سنوات بعد أَنْ كان قد عهد بولاية العهد من بعده لابن عمِّه عمر بن عبد العزيز.

عمر بن عبد العزيز
(٩٩-١٠١هـ)

هو عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم، وأمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب، كان قبل خلافته أميراً على المدينة تولى بعهد من ابن عمه سليمان

ونص العهد كما في المصادر التاريخية:

"بسم الله الرحمن الرحيم. هذا كتاب من عبد الله سليمان أمير المؤمنين لعمر بن عبد العزيز، إني قد وليتك الخلافة من بعدي، ومن بعده يزيد بن عبد الملك؛ فاسمعوا له وأطيعوا، واتقوا الله ولا تختلفوا فيُطمع فيكم".

أعماله:

عُدَّ عمر بن عبد العزيز من الخلفاء الراشدين لما كان يتمتَّع به من صلاح وتقوى ومحبة للخير فقد امتاز عهده بالكثير من الإِصْلاحات في مختلف المناحي، وردِّ المظالم فمن ذلك:

= استرد من بني أمية كل ما أُعطوا من قطائع وهِبات وأعادها لبيت مال.
= حرَّم على نفسه أَنْ يأخذ من بيت المال شيئاً.
= أصلح الأراضي وحفر الآبار وبنى المساجد.
= وزَّع الصدقات حتى قضى على الفقر.
= عزَل الولاة الظالمين.

أما من جهة الفتوحات فقد:

= قلَّتِ الحروب في أيامه وقابل ذلك نشاط الدعوة للإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة، فدخل الكثيرون في الإسلام.

= فكَّ حصار القسطنطينية، وأمر بعودة الجيوش الإسلامية.

= استمرت الحملات على الترك في بلاد الروم.

= غزا المسلمون فرنسا واخترقوا جبال البرانس، ووصلوا إلى مقاطعتي سبتمانيا وبروفانس، وحاصروا طولوز، ولكن لم يحقِّق المسلمون نتائج ملموسة في هذه الجهات.

وفاته: توفي في رجب (١٠١هـ) وكانت خلافته سنتين وخمسة أشهر.

يزيد بن عبد الملك
(١٠١-١٠٥هـ)

تولى بعد عمر بعهد من أخيه سليمان.

الفتوحات:

يلاحظ أنه عندما تولى الشباب الخلافة في أواخر الدولة الأموية أدى هذا إلى توقُّف الفتوحات وضعف الدولة وبداية نهايتها.

الجبهة الشرقية: أُعيد فتح أرمينيا وبلاد اللان، كما تمَّ غزو بلاد الصُّغْد عام (١٠٤هـ).

الجبهة الغربية: انهزم المسلمون وتراجعوا إلى جنوب فرنسا عام (١٠٢هـ)، كما تمَّ غزو جزيرة صقلية.

الخوارج: وفي أيامه نشط الخوارج بقيادة **شوذب**، فهزموا الأمويين في كثير من المعارك إلى أَنْ قضي عليهم وعلى زعيمهم شوذب.

وفاته: توفي سنة (١٠٥هـ) فكانت مدة خلافته أربع سنوات.

هشام بن عبد الملك
(١٠٥-١٢٥هـ)

هو هشام بن عبد الملك بن مروان، استخلف بعهد من أخيه يزيد، وكان عارفاً بالأمور حليماً ويكره سفك الدماء. وكان يولي أولاده الجهاد في بلاد الروم وعرف عهده بالإِصْلاحات الواسعة فقد:

- عمَّر الأراضي. - بنى مدينة الرصافة. - ضبط الدواوين تماماً.

الفتوحات:

كان الجهاد مستمراً بدون فتوحات جديدة، في فرنسا تقدم القائد **عبد الرحمن الغافقي** بجيوشه إلى أَنْ وصل إلى وسط فرنسا فأصيب الفرنجة برعب شديد. جرت معركة هائلة في بواتييه هي معركة (بلاط الشهداء)، استشهد فيها الغافقي وتراجع الجيش إلى جنوب فرنسا عام (١١٤هـ)، فكانت هذه أعظم المواقع خطراً على فرنسا.

ومن أهم الأحداث أيامه:

= ثورة زيد بن عليّ بن الحسين، وابنه يحيى:

فقد خرج على بني أمية بالكوفة عام (١٢١هـ) ثم تخلَّى عنه الكوفيون (كعادتهم) فقاتلَ قتالاً عظيماً، حتى قضي عليه في عام (١٢٢هـ).

ثم ثار ابنه يحيى بن زيدٍ في بلْخ بخراسان فقتله الأمويون عام (١٢٥هـ).

= بداية الدعوة العباسية:

نشطت الدعوة في هذه الفترة وكان مركزها في الكوفة، ومجال انتشارها في خراسان، وكان الأمويون يتعقبون الدعاة ويقتلونهم.

مات صاحب الدعوة **محمد بن عليّ بن عبد الله بن عباس** عام (١٢٤هـ)، وتولَّى ابنه **إبراهيم**. وفي هذه الفترة برز نشاط **أبي مسلم الخراساني** في الدعوة.

وفاته:

توفي هشام بن عبد الملك سنة (١٢٥هـ)، ودامت خلافته عشرون عاماً.

الوليد بن يزيد بن عبد الملك
(١٢٥-١٢٦هـ)

استُخلِف بعهدٍ من أبيه يزيد بعد عمِّه هشام، وقد وصمته الأخبار التاريخية بالمجون، فنقَم عليه النّاس، وبايعوا ابن عمه يزيد بن الوليد - وكان مشهوراً بالصلاح - فخلَعه وهو غائب، وقتل في سنة (١٢٦هـ) وكانت مدته ثلاثة أشهر فقط.

وقد أُشيْعَ عنه منكرات بلغتْ حدَّ اتِّهامه بالزندقة، ولو صحَّ ذلك لكانت أعظم فرصة لعمه هشام أَنْ يخلعه من ولاية العهد، ولكن ذلك لم يحصل، والذين دافعوا عنه كانوا كثر، ولم تهدأ الثورات المطالبة بالثأر له حتى انتصر مناصروه بقيادة مروان بن محمد كما سيأتي.

إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك

(١٢٧هـ)

تولَّى بعد أخيه يزيد، فخرج عليه مروان بن محمد الذي كان يدعو للثأر للوليد بن يزيد، وبيعة ابنيه، فقتلهما إبراهيم في السجن، ولما وصل مروان إلى دمشق هرب إبراهيم، ولم تطُلْ مدَّته أكثر من (٧٠ يوماً).

مروان بن محمد (١٢٧-١٣٢هـ)
(ونهاية الدولة الأموية)

هو مروان بن محمد بن مروان بن الحكم، ويلقب بـ(الحمار) لنشاطه وجرأته في الحروب، غزا أرض الروم عام (١٠٥هـ)، وفتح مدينة قوينة، وكان أمير أرمينيا وأذربيجان. بويع بالخلافة بعد أَنْ دخل دمشق وهرب منها إبراهيم عام (١٢٧هـ).

كانت مدته في الخلافة كلها فترة اضطرابات وفتن انتهت بزوال الدولة الأموية.

فقد اشتد في أيامه أمر الخوارج في خراسان والعراق والحجاز حتى استولوا على المدينة.

كما قويت الدعوة العباسية مما أتاح لها أَنْ تظهر إلى العلن بعد أَنْ كانت سرية وذلك في سنة (١٢٩هـ)، فقبض مروان على إمامها **إبراهيم بن محمد بن عليّ** وقتله، فتولَّى بعده أخوه **أبو العباس السفاح**، الذي توجَّه بأهله إلى الكوفة. فبويع هناك بالخلافة عام (١٣٢هـ) وأخضع العباسيون خراسان والعراق.

والتقى مروان بن محمد مع العباسيين على نهر الزاب (بين الموصل وأربيل) فهُزِم جيشُه عام (١٣١هـ) ففر إلى عدة جهات، إلى أَنْ قتله العباسيون في مصر

سنة (١٣٢هـ) وبمقتله انتهت الدولة الأموية وقامت على أنقاضها دولة بني العباس.

وبعد ... ذلك هو العصر الأموي. عصر حافل بالحركات السياسية والحركات الفكرية، ولا نزاع أنه لا ينافسه عصر آخر فيما خلَّد من فتوح، وما جذب للإسلام من جموع، فهو عصر فريد بين عصور التاريخ الإسلامي، وجدير بأن يكون مفخرة للمسلمين في جميع البقاع حتى العهد الحاضر.

السمات العامة للدولة الأموية[١]

كانت دولة عربية، ولم يتخذوا الخلفاء قاعدة، إنما كان سُكنى كل أمير منهم في داره وضيعته التي كانت له قبل الخلافة.

ولا أكثروا احتجان الأموال، ولا بناء القصور، ولا استعملوا مع المسْلِميْنَ خطاب التفخيم والسيادة بل استمروا على عادة العرب في خطابهم بخلاف ما أصبح عليه الأمر بعد ذلك من مفتتح الخلافة العباسية، وإنما كان غرضهم الطاعة الصحيحة من التولية والعزل في أقاصي البلاد، فكانوا يعزلون العامل، ويولون الأخر، في الأندلس، وفي السند، وفي خراسان، وفي أرمينية، وفي اليمن، فما بين هذه البلاد.

وبعثوا إليها الجيوش، وولوا عليها من ارتضوا من العمال.

وملكوا أكثر الدنيا، فلم يملك أحد من ملوك الدنيا ما ملكوه من الأرض، إلى أَنْ تغلب عليهم بنو العباس بالمشرق، وانقطع به ملكهم.

---

[١] ينظر موجز تاريخ الإسلام لابن حزم الظاهري، تحقيق بديع السيد اللحام: ص ٣٤.

القسم الثالث

موجز الخلافة العباسية

(١٣٢ - ٦٥٦ هـ)

قيام الخلافة العباسية

ينسب العباسيون لسيدنا العباس بن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم وذلك أَنَّ مؤسس هذه الدولة هو (عبد الله – السفاح – بن محمد بن عليّ بن عبد لله بن العباس بن عبد المطلب).

بداية الدعوة:

ظَهرت في ظل الخلافة الأموية دعوات معارضة لحكمهم ترى أَنَّ غيرهم أحق بالخلافة منهم، وقد تمثَّلت تلك الدعوات بشكل رئيسي بالرؤية التي تقول إن أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم هم أولى النّاس بخلافته من بعده، وقد رأينا كيف ابتدأ هذا الأمر بخروج سيد الشهداء سيدنا الحسين بن عليّ رضي الله عنهما (٦٣ هـ) وإلى ما آل أمره، وقد خرج من بعده حفيده زيد بن عليّ في الكوفة (١٢٢هـ).

كما ظهرت فرقه الكيسانية التي قادها المختارُ بنُ أَبي عُبيدِ اللهِ الثَّقفيُّ مدَّعياً أَنَّ الإمامة يجب أَنْ تكون لـ(محمد بن عليّ بن أَبي طالِبٍ) المعروف بـ(ابن الحنفية).

بعد وفاة محمد بن الحنفية ظهر عند أبي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية طموحٌ لهذا الأَمْرِ فبدأ يجمع حوله الأتباع، محيطاً تحركه بسرية تامَّة، واستمر على التَّردِدِ على خلفاء بني أُميَّة لإِبعاد الشبهة عن نفسه، ومع ذلك فقد أحس سليمان بن عبد الملك بالأَمْرِ، ويقال بأنه دسَّ له السمَّ ليتخلَّص منه، فلما أحسَّ بدنو أجله أوصى بالإمامة من بعده إلى ابن عمه محمد بن عليّ بن عبد الله بن العباس الذي كان يقيم في الحميمة (الأردن)، وطلب منه أَنْ يعمل على تقويض الحكم الأموي والدعوة لآل البيت.

وقد مرَّت الدَّعوة لآل العبّاس بمرحلتين:

المرحلة الأولى: السرية (١٠٠ - ١٢٩ هـ)

وكان محمد طموحاً، فحمل الفكرة، وبدأ بتنفيذها منذ سنة (١٠٠ هـ)، فكانت (الحُميْمَة) مركزاً للتخطيط وتنظيم العمل، واختار الكوفة مركزاً للدعوة، واختار خراسان مجالاً لانتشار الدعوة، واختار لها دعاة ونقباء أكفاء لنشرها فكانت تنتشر بسرية تامة وببطء باسم آل البيت وأن الخلافة للرضى من آل البيت، فكان عمله يتَّسم بالسياسة والدهاء.

بعد وفاة محمد تولى الدعوة ابنه إبراهيم عام (١٢٥ هـ)، وكان الأمويون قد ضَعُفوا وتفرَّقوا بعد وفاة هشامِ بنِ عبدِ الملَكِ، بينما أخذت الدعوة العباسية بالانتشار.

المرحلة الجهرية وإخضاع خراسان والعراق:

في سنة (١٢٩ هـ) أمر إبراهيم أبرز قواده أبا مسلم الخراساني (وهو صاحب حنكة ودهاء)، أَنْ يعلن الدعوة في خراسان ففعل، فقبض مروان بن محمد (آخر الخلفاء الأمويين) على إبراهيم وسجنه، فتولى أخوه عبد الله (السَّفاح) الأمر فَقَدِم بأهلهِ إلى الكوفة، ونزل في دار أحد دعاته وهو أبو سلمة الخلاَّل، وبقي أَمْرُه سرّاً.

استطاع أبو مسلِمٍ أَنْ يقضي على نصر بن سيار (والي خراسان) رغم أَنَّ هذا الأخير بذل كل جهوده ومحاولاته لصدِّ أبي مسلمٍ واستنجد بالخليفة مروان بن محمد مرتين. واستنجد بيزيد بن عمر بن هبيره (والي مروان على

العراق)، ولكن لم يلق أي استجابة لانشغالهم جميعاً بالحروب والفتن. فتمكَّن أبو مسلم من الاستيلاء على خراسان سنة (١٣٠ هـ).

ثم انتزعت العراق من يد يزيد بن عمر بن هبيرة سنة (١٣٢ هـ).

إعلان الخلافة العباسية:

خرج عبد الله (السفاح) من مخبئه، وذهب مع جماعته إلى جامع الكوفة، وأعلن خلافته ودعا أهل الكوفة لمبايعته، فبويع بها، في ربيع أول سنة (١٣٢ هـ).

معركة الزَّابِ والقضاء على الأمويين:

سيَّر السَّفاحُ جيوشه لقتال مروان بن محمد (آخر خليفة أموي) الذي كان قد عسْكَرَ على نهر الزّاب (قرب الموصل) فهُزِم مروانُ، وفرَّ من مكانٍ إلى مكانٍ، إلى أَنْ تمكَّن العبّاسيونَ من قتْلِه في مصر سنة (١٣٢ هـ)، فاستتبَّ الوضع لبني العباس في جميع الأقطار الإسلامية عدا الأندلس.

عصور الدولة العباسية

اصطلَح أغلب المؤرخين على تقسيم الدولة العباسية منذ قيامها في العراق إلى أَنْ سقطت بغداد بيد المغول سنة (٦٥٦هـ) إلى مرحلتين متمايزتين وذلك وفق التالي:

١ - العصر العباسي الأول (١٣٢ - ٢٤٧ هـ):

وهي مرحلة قوة وسيطرة الخلفاء، حيث كان أمر الدولة بيد الخليفة ليس لأحد معه أمر ولا نهي، وقد حكم في هذه الفترة عشرة خلفاء.

٢ - العصر العباسي الثاني (٢٤٧ - ٦٥٦ هـ):

وهي المرحلة التي فقد فيها الخلفاء السُّلطةَ شيئاً فشيئاً حيث تسلَّط على الخلافة الوزراء تارةً والعنصر التركي تارةً أخرى، ثم سلاطين البويهين ومن بعدهم سلاطين السلاجقة، وقد وصل الحال أَنَّ هؤلاء المتسلطين كانوا يُعيِّنون خليفةً ويخلعون آخر ويعتدون على ثالث بالحبس أو الضرب أو حتى سمل عينيه أو قتله دون أَنْ يرعوا لهم حرمة أو تأخذهم بهم شفقة، وأصبحت الخلافة في بعض مراحلها كرة يتقاذفها المتنفِّذون من السَّلاطين وغيرهم.

وقد حكم في هذه الفترة سبعة وعشرون خليفة.

العصر العباسي الأول
(١٣٢ - ٢٤٧ هـ)
خلفاء عصر القوة

الترتيب	الخليفة	الاسم	فترة الحكم
١	السفاح	أبو العباس عبد الله بن محمد	١٣٢ - ١٣٦ هـ
٢	المنصور	أبو جعفر عبد الله بن محمد	١٣٧ - ١٥٨ هـ
٣	المهدي	محمد بن عبد الله بن محمد	١٥٨ - ١٦٩ هـ
٤	الهادي	موسى بن محمد بن عبد الله	١٦٩ - ١٧٠ هـ
٥	الرشيد	هارون بن محمد بن عبد الله	١٧٠ - ١٩٣ هـ
٦	الأمين	محمد بن هارون بن محمد	١٩٣ - ١٩٨ هـ
٧	المأمون	عبد الله بن هارون بن محمد	١٩٨ - ٢١٨ هـ
٨	المعتصم	محمد بن هارون بن محمد	٢١٨ - ٢٢٧ هـ
٩	الواثق	هارون بن محمد بن هارون	٢٢٧ - ٢٣٢ هـ
١٠	المتوكل	جعفر بن محمد بن هارون	٢٣٢ - ٢٤٧ هـ

أبو العباس السفاح
(١٣٢ - ١٣٦ هـ)

هو عبد الله بن محمد بن عليّ بن عبد الله بن العباس. أول خلفاء بني العباس والده هو الذي حمل فكرة الدعوة وعمل على نشرها، فعرف عبد الله الكثير عن الدعوة وأسرارها، ولّاه أخوه إبراهيم قبل أَنْ يَقبض عليه الأمويّون سنة (١٢٩ هـ) فقدم مع جماعته إلى الكوفة سرّاً.

خلافته:

بويع له بالخلافة سنة (١٣٢ هـ)، ثم هزم مروان بن محمد وأنهى الدولة الأموية في العام نفسهِ في المشرق، وشمال افريقية، وقد اعتمد في خلافته على ثلاث دعائم:

١ - أسرته: فأعمامه وإخوانه وأبناء عمومته كثيرون، وقد تسلَّموا قيادة الجيوش وأصبحوا أمراء الولايات، وكانوا أهل مشورته.

٢ - أبو مسلمٍ الخُراسانيُّ: القائدُ المحنَّك، الذي مَهَّد أمر قيام الدولة فأخضع خراسان والعراق.

٣ - العصبية القبلية: استفحل أمرها في أواخر العهد الأموي، فاستغلَّها العباسيّون فكانوا مع اليمانيين ضدَّ القيسيين (أَنصارِ الأُمويّين)[١].

العاصمة: كانت الكوفة مركز الدعوة العباسية، وفيها بويعَ للسَّفاح، ثم غادَرها إلى الأَنْبارِ، وجعلها عاصمته سنة (١٣٤ هـ).

أعماله :

---

[١] ينظر: الدولة العباسية الأولى، الأستاذ محمود شاكر، ص ٨٥.

كان مشغولاً بتوطيد أركان الدولة، التي لم تستقر بعد، وبخاصة بعد أَنْ بدأ الدعاة الأوائل - الذين قامت على أكتافهم الدعوة العباسية - بإِظْهارِ عدم رضاهم لاستئثار العباسيين بالأمر، فيما كانوا هم يدعون لمبايعة الرضا من آل البيت، ظانّين أنَّه من آلِ عليٍّ وفاطمة رضي الله عنهما، فلذلك نرى أَنَّ أبا العبّاس قتل داعيتَهم في العِراقِ ووزيرَه أبا سلمة الخلاَّل بتهمة مُحاولةِ نقل الخلافة إلى البيت العلويِّ، كما سعى للقضاء على رئيسِ دُعاتِهم في خراسان أبي مسلمٍ الخراساني إلاَّ أنَّ المنية عاجلت السفاح قبل ذلك.

لكلِّ ما تقدَّم انصرف السفاح عن الفتوحات، إلّا أَنَّ المناوشات لم تتوقَّفْ في بلاد التُّرك وبلاد ما وراء النهر طيلة مُدَّتِه في الخلافة.

وفاته: توفي عام (١٣٦ هـ)، فكانت خلافته أربع سنوات.

أبو جعفر المنصور
(١٣٧ - ١٥٨ هـ)

هو عبد الله بن محمد بن عليّ بن عبد الله بن العباس.

كان من عظماء بني العباس مشهوراً بالشجاعة والحزم والدهاء، ويمكن أَنْ يعدَّ المؤسس الحقيقي للدولة ومثبّت أركانها، انتقل مع أخيه أبي العباس السفاح إلى الكوفة، وعمل معه فكان الساعد الأشد والعضد الأقوى له، ثم كان والياً على الجزيرة وأرمينيا وأذربيجان قبل خلافته.

أهم الأحداث في عَصْرِهِ:

قابل المنصور ثورات خطيرة، من شأنها أَنْ تهز كيان الدولة، ولكنه استطاع بحنكته وسياسته ومهارته أَنْ يخرج من تلك الأحداث منتصراً، ومن أهم الأحداث التي واجهها المنصور

١ - ثورة عمِّه عبدِ الله بن عليٍّ: الذي كان يرى أنَّه الأحقُّ بالخلافة، وادعى أَنَّ السفاح عهِدَ إليه بالخلافة من بعده، فبايعه جيشه، كما بايعه أهلُ الشّام والجزيرة، فسار بجيشه إلى حرّان فتحصَّن بها.

سيَّر إليه المنصور أبا مسلِمٍ الخراساني، فقاتله خمسة شهور، انتهت بنهزيمة عبد الله وفراره إلى البَصْرَة، ثم قبض عليه المنصور سنة (١٣٧ هـ) وسجنه حتى مات.

٢ – القضاء على أبي مسلِمٍ الخراسانيِّ: كان أبو مسلم قوياً، داهية (وأصله فارسي)، وكان السيد الوحيد المطاع في خراسان، وكان المنصور يخاف أَنْ يتمرَّد على الدولة، ولما خرج عليه عمه عبد الله في الجزيرة والشام، رأى الفرصة سانحة ليضرب القوَّتين ببعضهما (قوةَ عمِّه عبدِ الله من طرفٍ، وقوة قائده الخراسانيِّ أبي مسلم من طرفٍ آخر) فأرسل إلى أبي مسلم يأمره بالحضور مع جيشه لقتال عبد الله، وبعد أَنْ تمكَّن أبو مسلمٍ من القضاء على تمرُّد عبد الله عمِّ المنصور، طلب منه المنصور الحضور إليه فأوجس منه خيْفَةً فلم يستجب في بداية الأمر، ولكنه وبعد إلحاح شديد وتهديد، قَدِمَ إلى المنصور فأدخله القصر وحده وقتله سنة (١٣٧ هـ).

٣ - ثورة محمد (النفس الزكية) وأخيه إبراهيم: وهم أبناء عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي، خرج محمد في المدينة المنورة فتبعه أهلُها سنة (١٤٥هـ)، فسيَّر إليه المنصور جيشاً قضى عليها.

ثم ثار أخوه إبراهيم في العام نفسه في البَصْرَة، فأطاعه أهلوها، ثم أخضع معظم العراق وفارس والأهواز. وقاوم المنصور مقاومةً عنيفة إلى أَنْ قضى عليه في عام (١٤٥ هـ).

وقد كان خروج محمد وإبراهيم للمطالبةِ بالخلافة فقد كانا يريان أَنَّهُما أحق بالخلافة من أبناء عمومته من بني العباس.

٤ - الخوارج: نشط الخوارج أيام المنصور وبخاصة في المغرب، حيث أقاموا دولة بني مدرار في سجلماسة سنة (١٤٠ هـ)، وقد نشط المنصور في قتالهم، إلا أنه لم يستطع القضاء عليهم.

٥ - الأمويون في الأندلس:

عندما انهزم مروان بن محمد ومن معه من الأمويين في معركة الزاب لحقتهم جيوش العباسيين يعملون فيهم القتل والتشريد حتى لم يبقوا لهم باقية في الشام وشمال إفريقية وسائر البلاد، وقد تمكَّن عبد الرحمن بن مُعاويَة بن هشام بن عبد الملك (المعروف بعبد الرحمن الداخل) من النجاة من أيدي العباسيين وانتقل إلى الأندلس، واستطاع أَنْ يؤسس فيها دولة أموية، ولكنه لم يدع الخلافة بل كان يتسمى بالأمير، وذلك سنة (١٣٨ هـ). وقد عجز المنصور عن قتاله، فتركه، بل وحمد الله أَنْ جعل بينهما البحر حائلاً.

الفتوحات:

بعد استقرار الأوضاع سيَّر الجيوش إلى بلاد الروم، وأنشأ ثغوراً للمرابطة كانت تُنظِّم منها غارات منتظمة عرفت بالصوائف والشواتي، الغرض منها

حماية الحدود، وأخضع البلدان التي نقضت العهد كـ(طبرستان، والديلم، وكشمير) وغيرها.

أهم أعماله:

١ - بنى مدينة بغداد واتخذها قاعدة الدولة وعاصمتها سنة (١٤٦ هـ).

٢ - بنى مدينة الرافقة.

٣ - وسَّع المسجد الحرام عام (١٣٩ هـ).

وهو الذي أصَّل الدولة، وضبط المملكة ورتَّب القواعد، وأقام الأنظمة والقوانين.

وفاته: توفي في مكة أثناء حجه عام (١٥٨ هـ)، حكم واحداً وعشرين عاماً.

محمد المهدي (١٥٨ - ١٦٩ هـ)

هو محمد المهدي بن عبد الله المنصور.

بويع بالخلافة بعد أبيه بعهد منه عام (١٥٨ هـ).

كان جواداً كريماً، كثير العطايا، وكان شاعراً مطبوعاً، وكان عالماً عاملاً، له رواية للحديث، منقاداً للعمل به.

وكانت الأوضاع مستقرة في عهده، فلم تقم حركات تذكر.

أهم أعماله:

= رد المظالم لأهلها، قال السيوطي[1]: لما حصلت الخزائن في يد المهدي أخذ في ردِّ المظالمِ، فأخرج أكثر الخزائن ففرَّقها، وبرَّ أهله وماليه.

---

[1] تاريخ الخلفاء: ٢٧٢.

= وسع المسجد الحرام فأدخل فيه دوراً كثيرة، وأمر بعمارة طريق مكَّة، وبنى بها قصوراً، وعمل البرك.

= وهو أول من عمل البريد من الحجاز إلى العراق.

موقفه من الزَّنادِقة:

لقب (الزندقة) كان يُطلقُ على من اعتنق المانوية أو الثنوية (أي عبدة النور والظلمة) وأصلها القديم من فارس (تنسب إلى مزدك).

ثم أُطْلِقَ لقب زنديق على كل ملحَدٍ أو مُبْتَدعٍ، وأُطلِق أحياناً على من كان يحيى حياة المجون والخلاعة من الأدباء.

كان المهدي من أكثر الخلفاء العباسيين إيقاعاً بالزنادقة، وتعقُّباً لهم، قال السيوطي: وفيها (سنة ست وستين ومئة للهجرة) جدَّ المهدي في تتبع الزنادقة، وإبادتهم، والبحث عنهم في الآفاق، والقتل على التُّهمة. وقد أوصى ابنه الهادي بتعقبهم، وقد استجاب الهادي لوصية أبيه.

الخوارج:

في أيام المهدي قامت الدولة الرستمية في تاهرت (الجزائر) وهم خوارج إباضية، وقامت دولتهم سنة (١٦٠ هـ).

الفتوحات:

حقَّقت جيوشُه انتصارات كبيرة في بلاد الروم. وقد تولى ابنه الرشيد قيادة الجيوش، فوصل إلى سواحل بحر مرمرة، وصالح الإمبراطورة أغسطة على الجزية عام (١٦٦ هـ).

وفاته:

توفي عام (١٦٩ هـ) ومدة حكمه (١٠) سنوات وعدة أشهر، وكان قد عهِدَ بالخلافةِ من بعدِه لولَدَيْه موسى الهادي وهارون الرَّشيد على التَّوالي.

موسى الهادي

(١٦٩ - ١٧٠ هـ)

هو موسى الهادي ابن محمد المهدي، بويع بالخلافة بعد أبيه بعهدٍ منه.

أعماله وأهم الأحداث في عَصْرِهِ:

= من أهم أعماله متابعته لما كان عليه أبوه من تتبُّعٍ للزنادقة.

= حاول أَنْ يخلع ولاية العهد عن أخيه الرشيد إلى ابنه، فلم يتحقَّق له ذلك.

= **ثورة الحسين بن عليّ بن الحسن بن الحسن بن علي**: في المدينة ومكة، فقد رام الوصول إلى الخلافة، إلا أَنَّ الهادي استطاع القضاء عليه وعلى جماعته في **معركة فخ** (قرب مكة) عام (١٦٩ هـ).

= **تأسيس دولة الأدارسة في المغرب الأقصى**: كان ممن شارك في ثورة الحسين بن عليّ بن الحسن ابنُ عمٍّ له هو **إدريس**[١] **بن عبد الله بن الحسن بن الحسن**، وقد نجا من معركة فخٍّ وتوجَّه نحو المغرب الأقصى حيث استطاع تأسيس دولةٍ هناك عُرِفَتْ بـ(دولة الأدارسة).

وفاة الهادي: لم تطل مدة خلافته فقد توفي عام (١٧٠ هـ)، ولم يحكمْ إلاَّ سنَةً، وثلاثةَ أَشْهرٍ.

---

[١] وهو أخٌ ليحيى بن عبد الله الذي قام بثورة في بلاد الديلم قضى عليها هارون الرشي كما سيأتي.

هارون الرشيد (١٧٠ - ١٩٣ هـ)

هو هارون الرشيد بن المهدي، درة التاج العباسي، ويُعتبَر بحقٍّ أحد عظماء الملوك في التاريخ، وفي عهده شمل الرخاء الإمبراطورية الإسلامية على نحو لم يتوافَر من قبل، وبلغت الدولة في أيامه قمَّة أوجها وعظمتها واستقرارها، واكتملت لها ألوان من العظمة والقوة والمجد العلمي، وكانت الدولة في أيامه مهيبة الجانب عظيمة القدر، وقد كانت أيام الرشيد أيام خير، كأنها في حسنها أعراس وأعياد.

كان الرشيد جواداً شجاعاً، قاد الجيوش إلى بلاد الروم، فأخضعهم في عهد أبيه وهو في سن العشرين، وكان تقيّاً يخشى الله في أموره كلِّها، حجَّ تسعة مواسم، فشاع بين النّاس أنه كان يحجُّ عاماً، ويغزو عاماً. وكان يستمع إلى الوعاظ فيبكي من خشية الله، وهو من أفاضل الخلفاء وفصحائهم وعلمائهم وكرمائهم، ومن فضائله رعايته للعلم وتأسيسه (بيت الحكمة) ذلك العهد الذي كان المنار للثقافة والفكر في العالم آنذاك، والذي انبعثت منه الشعلة التي أضاءت الطريق للنهضة الأوروبية فيما بعد[١].

وقد أشيعت حوله الشائعات ونسجت الأساطير الباطلة، كما وجهت له التُّهم بصفته أعظم خلفاء بني العباس.

أهم الأحداث:

---

[١] التاريخ الإسلامي، د. أحمد شلبي، ٣/ ١٤٦.

اتصف عهده بالهدوء والاستقرار بشكل عام، إلا أنه لم يخل من منغِّصاتٍ وقيام بعض الخارجين عليه ومنهم:

١ - **ثورة يحيى بن عبد الله** (من ذرية الحسن بن علي): خرج ثائراً في بلاد الديلم، وقد خرجت معه جموع كثيرةٌ، واشتدت شوكته، وخضعت له بعض الأقاليم سنة (١٧٦ هـ)، وتمَّ القضاء على هذه الثورة سنة (١٨٠ هـ).

٢ - الخوارج: هبت للخوارج عاصفة قوية في عهد الرشيد كان يقودها رجل ذو بأس شديد، هو **الوليد بن طريف (الشاري)**. وقامت ثورته سنة (١٧٨ هـ) في الجزيرة، واستطاعت جيوش الخلافة القضاء عليه بعد جهدٍ جهيدٍ.

٣ - الزنادقة: تغلبوا على جرجان وعاثوا فيها بالفساد، فقضي عليهم سنة (١٨١ هـ).

٤ - نكبة البرامكة: وهي الحادثة التي حيرت المؤرخين والمحللين منذ حصولها إلى يومنا هذا، والبرامكة هم من أصل فارسي، كان لهم نفوذ كبير وسيطرة واسعة أيام الرشيد. حيث جعلهم أمراء ووزراء، فتحكموا بالدولة ومقدراتها. ثم قضى عليهم الرشيد. وأنهي وجودهم سنة (١٨٧ هـ)، لأسباب غير واضحة، واختلف المؤرخون كثيراً في تلك الأسباب.

٥ - ثورة خراسان: قامت ثورة عنيفة في خراسان قادها رافع بن ليث بن نصر بن سيار نتيجة استبداد وتعسف والي خراسان، فعزل الرشيد هذا

الوالي وحبسه ولكن الثورة استمرت، وقد استمر رافع في عصيانه إلى عهد المأمون بن هارون الرشيد.

٦ - **فتح هرقلة (أنقرة)**: كان الغزو في بلاد الروم لا ينقطع، ويقوده الرشيد بنفسه أحياناً، وفي عام (١٨٧ هـ) نقض الروم بعد أَنْ ولوا عليهم نقفور، الذي كتب إلى الرشيد: "من نقفور ملك الروم إلى هارون ملك العرب، إذا قرأت كتابي هذا، فاردد إلى ما حمل إليك من الأموال، وافتد نفسك، وإلا فالسيف بيننا وبينك". فغضب الرشيد غضباً شديداً، وكتب إليه: "من هارون أمير المؤمنين إلى نقفور كلب الروم، قرأت كتابك يا ابن الكافرة، والجواب ما تراه دون ما تسمعه" وسار إليه على جيش كبير. حتى دخل العاصمة (هرقلة) وانتصر عليهم، وأسرَ ابنةَ ملكهم، وغنم الكثير، وفرض عليهم الجزية.

وفاته: عهد من بعده لولديه الأمين ثم المأمون، وكان ذلك باب فتنة هوجاء هبت عقب وفاته بين الأخوين، أودت بحياة الآلاف من المسْلِمِيْنَ، وتوفي الرشيد عام (١٩٣ هـ). ودام حكمه ثلاثة وعشرون عاماً.

محمد الأمين (١٩٣ - ١٩٨ هـ)

محمد الأمين بن هارون الرشيد، وأمه زبيدة بنت جعفر بن المنصور، وليس في خلفاء بني العباس من أمه وأبوه هاشميان سواه، كان أبوه قد أخذ البيعة له ثم لأخيه المأمون من بعده، ثم القاسم وولاه العراق.

وولى المأمون الشرق (خراسان) وكان الرشيد قد أخذ لهما البيعة في مكة وأقسمهما على عدم الاختلاف وأشهد عليهما جميع من حضر، ووضع كتاب البيعة في جوف الكعبة.

فقام الفضل بن الربيع (وزير الأمين) بإغرائه بخلع أخيه المأمون ومبايعة ابنه موسى، ففعل، ومزق كتاب البيعة، فخرج عليه المأمون.

صِراعُ الأَخوَيْنِ:

في عام (١٩٥ هـ)، أرسل الأمين جيشين لقتال أخيه، فهزمها طاهر بن الحسين قائد المأمون وفي (١٩٦ هـ) ألحق بهم هزيمة أخرى.

ثم سار طاهر إلى بغداد فحاصرها وضيق في حصارها. فانفض أتباع الأمين من حوله. وزاد أتباع المأمون. ودخل جيش المأمون بغداد سنة (١٩٨ هـ)، فاستحر القتال بين الطرفين، وانتهت الأمر بهزيمة الأمين وقتله، بعد خمس سنوات من خلافته.

عبد الله المأمون (١٩٨ - ٢١٨ هـ)

عبد الله المأمون بن هارون الرشيد، بايع الرشيد ابنيه الأمين ثم المأمون، فخلع الأمين أخاه - كما مرَّ - فاستطاع المأمون بعد صِراع دمويٍّ عنيفٍ وبتدبيرٍ مِنْ وزيرِه الفضْلِ بنِ سَهْلٍ أَنْ يقضي عليه ويتولى الخلافة سنة (١٩٨ هـ).

أهم الأحداث:

- **ثورة بغداد وتعيين إبراهيم بن المهدي:** كتب المأمون لعليّ بن موسى الرضا (من أحفاد الحسين بن علي) بولاية العهد فغضب عليه العباسيون وخلعوه، وبايعوا عمه إبراهيم بن المهدي سنة (٢٠١ هـ)، فقدم المأمون من مرو وقد كان مستقراً بها منذ توليه ففر عمه. ثم إن عَليّاً الرضا توفي فهدأت الأمور واستقرت الأحوال وذلك (٢٠٢ هـ).

- **حركة بابك الخرمي:** هو من مذاهب الزنادقة، وامتداد لأفكار مزدك. وتنسب إلى مدينة فارسية اسمها (خُرَّمه)، والخرمية أباحوا كل المحرمات، وأشهر زعمائهم هو بابك الخرمي كان يقول بعقيدة التناسخ ووجود إلهين للنور والظلمة، ظهر سنة (٢٠١ هـ)، وامتد سلطانه إلى همدان وأصبهان، واستمر المأمون في قتاله طوال فترته، ولكنه لم يستطع القضاء عليه أيام خلافته، بل امتدت أيام القتال بين بابك هذا وبين العباسيين إلى أيام المعتصم.

- **فتنة خلق القرآن:** حدثت في عهد المأمون في عام (٢١٨ هـ)، وهي القول بأن القرآن مخلوق، وآمن المأمون بهذا الاعتقاد وهو رأي المعتزلة، وقد تعرض عدد من العلماء للتعذيب في ذلك، من أشهرهم الإمام أحمد بن حنبل، وقد امتدت فتنة القول بخلق القرآن إلى عهد المتوكِّل الذي انتصر لرأي أهل السنة.

الفتوحات:

لاحظنا أَنَّ الفتوحات عموماً محدودة جداً أيام العباسيين، فقد توقَّفت منذ أواخر دولة بني أمية، وقد جرى زمن المأمون بعض الفتوحات

الجديدة، من ذلك فتح اللاز والشيزر من بلاد الديلم سنة (٢٠٢ هـ)، كما تمَّت فتوحات في بلاد النوبة والبجاة.

والمأمون هو الذي بدأ باستقدام العسكر من الترك.

وفاة المأمون:

توفي عام (٢١٨ هـ) بعد أَنْ عهد بولاية العهد لأخيه المعتصم ابن هارون الرشيد، وكانت مدَّة حكمه عشرين عاماً.

المعتصم (٢١٨ - ٢٢٧ هـ)

هو محمد بن هارون الرشيد، تولى الخلافة بعد أخيه المأمون بعهدٍ منه.

أهم أعماله:

= استخدم المعتصم الجند الأتراك بكثرة، حتى ازداد أذاهم في بغداد، فبنى لهم مدينة سامراء، ويبدو أَنَّ المعتصم لجأ إلى الترك لفقده الثقة في الفرس والعرب؛ أما الفرس فقد اتضح أَنَّهُم يقصدون الاستبداد بالسلطة، وقد نكَّل بهم الخلفاء العباسيون (بداية بأبي سلمة الخلال، فأبي مسلم الخراساني، ومن بَعدِهما نكَّل هارونُ الرشيد بالبرامكة، والفضلِ بنِ سهلٍ وغيرهم)، وأما العرب فقد زال سلطانهم بزوال دولة الأمين بسيوف الفرس، لذلك اضطر المعتصم أَنْ يبحث عن عنصر جديد فكان العنصر التركي، ولم يدر أنه بذلك التصرف أوقع الدولة في شر مستطير، حيث وضع أمور الدولة في أيديهم.

= تابع المعتصم مقولة خلق القرآن، واستمر في تعذيب الإمام أحمد بن حنبل فهو كان امتداداً لسياسة المأمون في أغلب أموره.

أبرز الأحداث:

- **حركة بابك الخُرَّمي**: قاتله عدة مرات، حتى قضى عليه عام (٢٢٣ هـ)، وكان يوم الانتصار على بابك من أزهى أيام النصر التي شهدها المسلمون، فقد قُضي بذلك على الخُرَّمية بعد جهاد استمر أكثر من عشرين سنةً.

- **فتح عمورية**: سار ملك الروم ومعه الخرمية، فدخلوا زبطرة وملاطية، وفعلوا الأفاعيل بالمسْلِميْنَ، ويقال أَنَّ امرأة مسلمة اعتُدي عليها في زبطرة، فصرخت: وامعتصماه. فلبى النداء وسار بنفسه إلى أقوى مدن الروم، وهي عمورية، فدخل المدينة بعد معركة عظيمة وفتحها عام (٢٢٣ هـ).

وقد خلَّد الشاعر أبو تمام هذه الواقعة في قصيدته الشهيرة ومطلعها:

السيف أصدق أنباء من الكتب في حدِّه الحدُّ بين الجدِّ واللَّعب
يا يوم وقعة عمورية انصرفت عنك المنى حفلا معسولة الحلب

وفاته:

توفي المعتصم عام (٢٢٧ هـ)، بعد أَنْ عهد بالخلافة لابنه الواثق، وكانت مدته تسع سنوات.

هارون الواثق (٢٢٧ - ٢٣٢ هـ)

هو هارون بن محمد المعتصم، تولى الخلافة بعد أبيه المعتصم عام (٢٢٧ هـ).

لم تحدث في عهد الواثق أحداثٌ ذات أهمية.

نفوذ الأتراك:

وصل القواد الأتراك في عهده إلى مكانة مرموقة، وقد منح الواثق للقائد التركي (أشناس) لقب سلطان، فكانت له صلاحيات واسعة.

وفاته:

توفي عام (٢٣٢ هـ)، فكان خلافته خمس سنوات.

جعفر المتوكل (٢٣٢ - ٢٤٧ هـ)

هو جعفر بن محمد المعتصم، تولى الخلافة بعد أخيه الواثق، نصَّبه القادة الأتراك الذين أصبحت مقاليد السلطة في أياديهم، وقد حاول أَنْ يتخلص منهم لكنه فشل وانتهت حياته أخيراً على أيديهم.

وفي أيّامه انتهت فتنة القول بخلق القرآن، وأُكْرِمَ الإمامُ أحمد بن حنبل.

الأحداث: أغار الروم على دمياط بمصر، فدمروا وقتلوا وعادوا إلى بلادهم دون أَنْ يتعرَّض لهم أحد وذلك في سنة (٢٣٨ هـ)، وتكررت اعتداءاتهم على بلاد المسْلِميْنَ المجاورة لهم، فخرجت لهم عدة حملات، ولكنها لم تحقق نتائج هامة.

وفاته: استفحل أمر الأتراك في أيّامه وعظم شأْنُهُم حتى وصل بهم الحال أن تآمروا عليه مع ابنه المنتصر فقتلوه، كان مقتله في سنة (٢٤٧ هـ)، وقد حكم خمس عشرة سنة.

نهاية عصر العباسي الأول

بمقتل المتوكِّل انتهى العصر العباسي الأول عصر قوة الخلفاء وبدأ الوهن يدبُّ في أوصال الخلافة والضَّعف يتسرَّب إليها رويداً رويداً.

الدول المنفصلة في هذه المرحلة

ظل العالم الإسلامي وحدة واحدة طيلة عهد الخلفاء الراشدين، وعهد الأمويين وبسقوط الأمويين بدأ التفكك في العالم الإسلامي، فانفصلت بعض أجزائه عن جسم الدولة، واستقلت بنفسها كإمارات منفصلة، فكان أولها قيام الدولة الأموية في الأندلس عام (١٣٨ هـ) ثم قامت دولة للخوارج في المغرب (١٤٠ هـ)، وكان العباسيون يحاولون القضاء عليها في البداية، ثم تركوها وشأنها.

ونلاحظ أنَّ جميع الإمارات المنفصلة في هذه الفترة من مغرب العالم الإسلامي فقط.

الدول المستقلة

الدولة	الموقع	فترة قيامها
الأموية	جزيرة الأندلس	١٣٨ - ٤٢٢ هـ
بني مدرار	سجلماسة (المغرب)	١٤٠ - ٢٩٧ هـ
الرستمية	المغرب الأوسط (الجزائر)	١٦٠ - ٢٩٦ هـ
الأدارسة	مراكش (المغرب)	١٧٢ - ٣٧٥ هـ
الأغالبة	القيروان (تونس)	١٨٤ - ٢٩٦ هـ

الدولة الأموية في الأندلس

(١٣٨ - ٤٢٢ هـ)

وهي أول دولة تنفصل وتستقل عن جسم العالم الإسلامي.

مؤسس هذه الدولة هو عبد الرحمن بن مُعاويَة بن هشام بن عبد الملك الأموي، وكان قد فرَّ من وجه الدولة العباسية، بعد انهيار الدولة الأموية، فدخل الأندلس فسُمي عبد الرحمن الداخل، وقد كان هناك نزاع بين المضرية واليمانية، فكان الأمر بيد يوسف الفهري (مضري)، وتجمَّعَ اليمانية والأمويون تحت راية عبد الرحمن الذي سار إلى يوسف في قرطبة فاقتتلا وتحاربا مدة عام تقريباً، إلى أَنْ غلبه عبد الرحمن وتولى الحكم عام (١٣٨ هـ)، وعرفت الموقعة الحاسمة التي انتصر فيها عبد الرحمن على يوسف باسم (المصارة)، وعظم شأنه واستقرت له الأحوال حتى أنه فكر في انتزاع بلاد الشام من العباسيين.

أرسل له أبو جعفر المنصور عدة جيوش للقضاء عليه ففشل وقد لقَّبه (صقر قريش) إعجاباً به وكف عن قتاله، ثم حاول المهدي قتاله فانهزم، فتركوه وشأنه.

مات الداخل سنة (١٧٢ هـ) (كانت قرطبة هي عاصمة الدولة).

ومن أبرز حكام هذه الدولة

عبد الرحمن الناصر (الثالث) (٣٠٠ - ٣٥٠ هـ)

تولى والبلاد في غاية الاضطراب، فأخضع الثّوّار، ثم بدأ يشن الغارات على ممالك المسيحيين، فحقق عليهم انتصارات عظيمة، وقاد الجيوش بنفسه عدة مرات، وانهزم مرة أمام المسيحيين في معركة الخندق عام (٣٠٨ هـ) ثم استرد قوته سريعاً.

عاشت الأندلس في عَصْرِهِ فترتها الذهبية، فبلغت أوج عظمتها وأبهتها من الناحية السياسية والحضارية والعمرانية، وكسبت احترام وتقدير الجميع.

السيطرة العامرية:

في الفترة (٣٦٦ - ٣٩٩ هـ) استبد الحاجب المنصور العامري بالملك والسلطة لضعف بني أمية، وقد كان وصياً على الخليفة هشام (الذي كان له من العمر اثنا عشر ١٢ عاماً) وكان المنصور في غاية الذكاء والشهامة والشجاعة، أخمد الثورات والفتن، ومضى في فتوحاته، وكان يتولى الغزو بنفسه، ولم يهزم قط في غزواته الخمسين التي قام بها، ووصل إلى أقصى الركن الشمالي الغربي من أسبانيا فهابه ملوك أوروبا كلهم.

وتولّى بعده ابنه عبد الملك وكان ككفاءة أبيه، ثم تولى أخوه عبد الرحمن وكان ضعيفاً وقتل سنة (٣٩٩ هـ)، وبذا انتهت السيطرة العامرية، ثم عادت السلطة إلى بني أمية وكانوا ضعفاء متناحرين فسقطوا عام (٤٢٢ هـ)، وتفككت إلى إمارات ملوك الطوائف.

أبرز الحكام الأمويين في الأندلس:

١ - عبد الرحمن الداخل (١٣٨ - ١٧٢ هـ).

٢ - الحكم بن هشام (١٨٠ - ٢٠٦ هـ).

٣ - عبد الرحمن بن الحكم (٢٠٦ - ٢٣٨ ه).

٤ - محمد بن عبد الرحمن (٢٣٨ - ٢٧٣ هـ).

٥ - عبد الله بن محمد (٢٧٥ - ٣٠٠ هـ).

٦ - عبد الرحمن بن محمد (الناصر) (٣٠٠ - ٣٥٠ هـ).

دولة بني مدرار في سجلماسة (بالمغرب)

(١٤٠ - ٢٩٧ هـ)

أشرنا عند الكلام عن أهم الأحداث في زمن أبي جعفر المنصور إلى أن الجوارج قد استفحل أمرهم في المغرب، وأن بني مدرار وهم من الخوارج الصفَّرية، قد أسَّسوا لأنفسهم دولةً، وقد انصرف سلاطينها إلى شؤونهم الداخلية والتجارة، وقد استمرت هذه الدولة إلى أن تمَّ القضاء عليهم من قِبَلِ الفاطميين سنة (٢٩٧ هـ).

أبرز حكامها:

١ - عيسى بن يزيد الأسود (المؤسس) (١٤٠ - ١٥٥ هـ)

٢ - أبو القاسم سمكو (١٥٥ - ١٦٨ ه).

٣ - اليسع بن أبي المقاسم (١٧٤ - ٢٠٨ هـ).

٤ - ميمون بن مدرار (٢٢٤ - ٢٦٣ هـ).

الدولة الرُّستميَّة (في المغرب الأوسط)

(١٦٠ - ٢٩٦ هـ)

وهم فرقة من الإباضية، أسَّسها عبد الرحمن بن رستم بعد القضاء على البربر، ثم شيد تاهرت وجعلها عاصمة حكمه، قضى العبيديون على هذه الدولة، وضموها إلى نفوذهم عام (٢٩٦ هـ).

أبرز حكامها:

١ - عبد الرحمن بن رستم (١٦٠ - ١٦٨ هـ)

٢ - عبد الوهاب بن عبد الرحمن (١٦٨ - ٢٠٨ هـ)

٣ - الأفلح بن عبد الوهاب (٢٠٨ - ٢٥٨ هـ)

٤ - أبو اليقظان محمد بن الأفلح (٢٦٠ - ٢٨١ هـ)

دولة الأدارسة في مراكش

(١٧٢ - ٣٧٥ هـ)

مؤسس الدولة **إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن عليّ بن أَبي طالِب**، وكان إدريس هذا قد ثار بالمدينَةِ المنورة مع الحسينِ بنِ عليٍّ بنِ الحسنِ بنِ الحسنِ بنِ عليٍّ بنِ أبي طالبٍ على أبي جعفر المنصور وانتهى أمر خروجهم بموقعة تسمى (موقعة فخ) سنة (١٦٩هـ)، نجا منها إدريس وأخوه يحيى، فأما يحيى فتوجه نحو بلاد الديلم وثار هناك، وبقي ثائراً حتى تمَّ القضاء عليه أيام هارون الرشيد، وأما إدريس فهرب إلى المغرب الأقصى

فجمع حوله البربر هناك، وأسَّس إمارةً في مراكش، و قويت شوكته، وتولَّى بعده ابنه إدريس.

يعتبر إدريس الثاني أبرز حكام هذه الدولة ومؤسِّسها الحقيقي، وهو الذي بنى مدينة فاس.

وفي زمن يحيى بن إدريس بن عمر امتد نفوذ الدولة على جميع بلاد المغرب.

وينسب للأدارسة أَنَّهُم أول من نقلوا الحضارة الإسلامية إلى المغرب.

واستمرت هذه الدولة إلى قضى عليها الفاطميون سنة (٣٧٥هـ).

أبرز حكامها:

١ - إدريس بن عبد الله بن الحسن (١٧٢ - ١٧٧ هـ)

٢ - إدريس بن إدريس (١٧٧ - ٢١٣ هـ)

٣ - محمد بن إدريس بن إدريس (٢١٣ - ٢٢١ هـ)

٤ - يحيى بن إدريس بن عمر (٢٩٢ - ٣١٠ هـ)

دولة الأغالبة في القيروان (تونس)

(١٨٤ - ٢٩٦ هـ)

ولَّى هارونُ الرَّشيد إبراهيمَ بنَ الأَغْلَبِ على أفريقية لتأديب البربر وخوفاً من زحف الأدارسة على مصر والشام عام (١٨٤ هـ)، فضبط الأمور وأخمد الثورات، وجعل مركز حكمه في القيروان واستقل بمنطقته عن الدولة العباسية فتركه الرشيدُ وشأنه

امتد نفوذ هذه الدولة إلى تونس وطرابلس (ليبيا)، كما كانت لها فتوحات بحرية.

فتوحات الأَغالبةِ البحرية:

قام الأغالبة بالغزو في البحر الأبيض المتوسط وافتتحوا عدة جزر:

ففي أيام الأمير زيادة الله بن إبراهيم افتتح المسلمون جزيرة صقلية عام (٢١٢ هـ) وكان المسلمون قد سبق أن غزوها في عهد مُعاويَة غير أَنَّهُم لم يستطيعوا البقاء فيها حتى افتتحها الأغالبة، وقد كان قائد جيش الفتح قاضي القضاة أسد بن الفرات[1]، واستمر النفوذ الإسلامي فيها حتى عام (٤٨٣ هـ).

وقد توالت هجمات بني الأغلب على جزر البحر الأبيض المتوسط، ففتحوا مالطة سنة (٢٥٦ هـ).

كما أغاروا على جنوب فرنسا وجنوب إيطاليا، فسيطروا على سواحل فرنسية، وفتحوا عدة مدن إيطالية (برنديزي - نابلي - كالبريا - تورنتو - باري).

وكانت نهاية دولتهم على يدي الفاطميين سنة (٢٩٦ هـ).

أبرز حكام الأَغالبة:

---

[1] أسد بن الفرات بن سنان (١٤٢ - ٢١٣ هـ) قاضي القيروان وأحد القادة الفاتحين، أصله من خراسان ودخل القيروان وهو طفل مع أبيه، رحل في طلب الحديث (سنة ١٧٢ هـ) فقرأ الموطأ = = على الإمام مالك، ولي قضاء القيروان سنة (٢٠٤ هـ)، كان شجاعاً حازماً صاحبَ رأي. فتح جزيرة صقلية (سنة ٢١٢ هـ)، وتوفي من جراحات أصابته وهو محاصر سرقوسة، وهو مصنف (الأسدية) في فقه المالكية.

١ - إبراهيم بن الأغلب بن سالم (١٨٤ - ١٩٦ هـ).

٢ - زيادة الله بن إبراهيم (٢٠١ - ٢٢٣ هـ).

٣ - إبراهيم بن أحمد (٢٦١ - ٢٨٩ هـ).

العصر العباسي الثاني

(٢٤٧ - ٦٥٦ هـ)

(عصر الخلفاء الضعفاء)

تمتد هذه المرحلة من عام (٢٤٧ هـ) إلى عام (٦٥٦ هـ)، أي أكثر من (٤٠٠ عام).

وأهم سمات هذا العصر:

١ - ضعف الخلفاء، تمثل بوجود نفوذ القادة العسكريين أو السلاطين القادمين من أطراف الدولة على مركز الخلافة وأصبح الخلفاء في أغلب الأحيان مجرد ألعوبة بيد هؤلاء المتنفذين ليس لهم من الأمر شيء.

٢ - نشوء دويلات كثيرة نتيجة بروز قادة استقلوا في مناطقهم واعترف بهم الخليفة.

٣ - ظهور نتائج الحضارة الإسلامية السابقة، لهذا العصر، على شكل علوم، وعمران، ورفاهية، وترف.

٤ - قيام حركات ادعاء النسب الهاشمي، والحركات الباطنية.

٥ - الغزو الصليبي لبلاد المسْلِميْنَ.

٦ - الغزو المغولي، والقضاء على الخلافة العباسية وسقوط بغداد عام (٦٥٦ هـ).

وسنذكر أولاً كيف تتابع نفوذ القادة والسلاطين على مقام الخلافة.

ثم نَعْرضُ لأهمِّ الأحداث والوقائع التي جرَت في هذه المرحلة .
كما سنُعرِّف بأهم الدّويْلاتِ التي قامتْ على أطراف دولة الخلافة.
ونختم بعرض واقعة سقوط بغداد بيد التتار.

أولاً ـ نفوذ القادة والسلاطين

أ ـ النفوذ التركي

(٢٤٧ – ٣٢٠ هـ)

وهي فترة سيطرة القادة العسكريين الأتراك على الخلفاء الضعفاء، فهم الذين يختارون الخليفة، ويخلعونه، ويقتلونه كما يشاؤون، وكان الخليفة المعتصم هو الذي استقدم الترك لتعبئة الجيوش لهم.

وكان قد استقدمهم المعتصم من بلاد ما وراء النهر، وأسند لهم في البداية أمر سلامته الشخصية فجعل منهم حرسه الخاص، ثم أدخلهم في جيشه، واستطاعوا بشجاعتهم وبطولاتهم أَنْ ينالوا تقدير الخليفة. فوصلوا إلى القمة والقيادة في أمور الحرب.

ولم يدر أنه بتصرفه هذا وقع وأوقع أولاده وأوقع الدولة الإسلامية في شر مرير على أيدي هؤلاء الطغاة.

وقد بدأ شرهم يظهر في عهد المعتصم، فاعتدوا على كثير من النّاس في بغداد، واعتدى النّاس عليهم، وكثرت الشكوى، فبنى المعتصم مدينة سامراء (سرى من رأى) وانتقل إليها ونقل إليها جيشه.

وأخذ هؤلاء يزحفون بسرعة إلى السلطة الكاملة، حتى استطاعوا قتل المتوكل واكتمل سلطانهم في عهد المنتصر. فصارت لهم السيطرة الكاملة، فكانوا يعينون من شاؤوا ويخلعون من أرادوا، وتعرض الخلفاء لأشد إيذاء على أيديهم، فقتلوا وسجنوا وعذبوا وخلعوا.

وفي عهد المعتمد والمعتضد (٢٥٦ - ٢٨٩ هـ) شهدت الخلافة فترة صحوة واستعادت قوتها وهيبتها. وعاد الضعف بعد ذلك.

* * *

وخلفاء هذه المرحلة هم:

المنتصر (٢٤٨هـ)

أبو جعفر محمد بن جعفر بن محمد بن هارون بن محمد، وهو الذي تآمر على قتل والده مع جنوده الأتراك، وأقام والياً بعده إلى أَنْ مات لخمس خلون من ربيع الأول سنة ثمان وأربعين ومائتين، وكانت مُدَّة ولايته ستة أشهر، وعاش خمساً وعشرين سنة.

وقيل إنما قتل والده لما كان يراه منه ويسمعه من تنقص آل البيت، وما يسمعه من جلسائه، كعليّ بن الجهم ومن نحا نحوه.

المُسْتَعين (٢٤٨-٢٥٢هـ)

أبو العباس أحمد بن محمد المعتصم، ولي بعد المنتصر إلى أَنْ خلع ثم قتل في سنة اثنتين وخمسين ومائتين، وكان عمره ستاً وثلاثين سنة، وقيل اثنتين وثلاثين سنة.

المعتز (٢٥٢-٢٥٥هـ)

أبو عبد الله الزُّبَيْر بن جعفر المتوكل، ولي بعد المستعين.

أقام والياً، إلى أَنْ قُتِل في شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين.

وفي أيامه ابتدأ ظهور المتغلِّبين في أطراف البلاد، ومنهم أحمد بن طولون الذي استقلَّ بمصر وأسَّس فيها الدولة الطولونية كما سيأتي.

وكانت مدته منذ خَلْعِ المستعين إلى أَنْ خُلِعَ هو أربع سنين غير خمسة أشهر، وكان عمره خمساً وعشرين سنة غير شهر.

خلافة المهتدي (٢٥٥-٢٥٦هـ)

أبو عبد الله محمد بن هارون الواثق، ولي بعد المعتز، فأقام والياً إلى أَنْ قتل في نصف رجب سنة ست وخمسين ومائتين؛ قام عليه القائد التركي موسى بن بغا، فحاربه.

وفي أيامه بدأت فتنة الزَّنْجِ بالظهور وذلك في رمضان سنة خمس وخمسين ومئتين (٢٥٥هـ)، ومن ثم تعاظَمَ شرَرُها.

كانت مدته في الخلافة أحد عشر شهراً، وعمره سبع وثلاثون سنة.

ولاية المعتمد (٢٥٦- ٢٧٩هـ)

أبو العباس أحمد بن جعفر المتوكل، ولي بعد المهتدي، فأقام والياً إلى أَنْ مات، فكانت ولايته ثلاثاً وعشرين سنة، ومات لإحدى عشرة ليلة بقيت من رجب سنة تسع وسبعين ومائتين، وله خمسون سنة.

وفي أيامه قتَلَ أخوه طَلْحَةُ - الملقَّبُ بالموفقِ - صاحبَ الزُّنْج، وأنهى فتنتهم، وذلك في صفر سنة سبعين ومئتين (٢٧٠هـ).

والمعتمد أول خليفة تُغُلِّبَ عليه، فلم يَنْفُذْ له أمرٌ ولا نهيٌ، ولم يكن بيده من أمْرِ الخلافة إلاَّ الاسم فقط.

ولاية المعتضد (٢٧٩-٢٨٩هـ)

أحمد بن طَلْحَة بن جعفر، أبو العباس المعتضد بالله ابن الموفق بالله ابن المتوكل، ولي بعد عمِّه المعتمد.

كان المعتضدُ قبل توليه الخلافة عونَ أبيه طَلْحَةَ في حروبه التي خاضها ضدَّ المتغلِّبين، وقد أَظْهَرَ بسالةً ودِرايةً في حروبه مع الزَّنْجِ والأَعْرابِ وهو في سنِّ الشَّبابِ، وبتوليه الخلافة حلَّ عن بني العباس عقدَة المتغلِّبينَ، وظهر بمظهر الخلفاء العاملين، وجعل يتوجَّه بنفسه إلى أَصحابِ الثَّغبِ في البلاد فيقمَعُ ثائرتَهم، وجعل أُمراءَ الجند مسؤولين عن أعمال أَتْباعهم، وكان شجاعاً، ذا عزم، مهيباً عند أصحابه يتَّقون سطوته ويكفّون عن الظُّلْم خوفاً منه، وفي المؤرخين من يقول: قامت الدولة بأبي العباس وجُدِّدت بأبي العباس، يريد السفاح والمعتضد.

وقد **سكنت في أيامه الفتن لفرض هيبته**، وأسقط المكوس، ونشرَ العدلَ، ورفع الظلم عن الرعية، وبذل المال، وأصلح الحال، ولما ولي الخلافة لم يكن في بيت المال سوى قراريط لا تبلغ دينارين، فأصلح الأمور حتى فضل من ارتفاعه في سني خلافته تسعة عشر ألف ألف دينار.

أقام والياً إلى أَنْ مات لسبع بقين من ربيع الآخر سنة تسع وثمانين ومائتين، فكانت ولايته عشر سنين غير شهرين وأيام، ومات وله ست وأربعون سنة.

وفي أيامه ابتدأت حركة **حمدان قرمط** التي سنأتي على ذكرها.

ولاية المكتفي (٢٨٩-٢٩٤هـ)

أبو محمد علي[١] بن أحمد المعتضد ابن الموفق ابن المتوكل.

ولي بعد أبيه بعهدٍ منه.

جاءه نعي أبيه المعتضد وهو مقيمٌ بالرَّقة فبويع بها، وانتقل إلى بغداد، وقام بشؤون الخلافة قياماً حسناً.

استفحَلَ في أيّامه أمرُ القَرامِطة فحارَبَهم وظفِرَ بهم في كثير من الوقائع، وأنفق في سبيل ذلك الأموال العظيمة.

وفي أيامه أُعيدَ فتح أنطاكية بعد أَنِ استولى عليها الروم.

أقام والياً إلى أَنْ مات عَشية يوم السبت لثلاث عشرة ليلة خلت لذي القعدة سنة أربع وتسعين ومائتين، كانت مدة ولايته خمس سنين وسبعة أشهر وأياماً، ومات وله ثلاث وثلاثون سنة.

ولاية المقتدر (٢٩٤-٣٢٠هـ)

أبو الفضل جعفر المقتدر بن أحمد المعتضد بن طَلْحَة.

بويع بالخلافة بعد وفاة أخيه المكتفي سنَة (٢٩٥ هـ) وله أربع عشرة سنة، ولم يَلِ الخلافة أحدٌ قبله أصغر منه فاستصغره النّاس، فخلعوه سنَة (٢٩٦ هـ) ونصَّبوا عبد الله بن المعتز، ثم قتلوا ابن المعتز وأُعيدَ المقتدرُ بعد يومين، فطالت أيامه، وكانت أيام خلافته أيامَ قلاقل وفتن.

ففي أيامه:

---

[١] ليس في الخلفاء من اسمه (علي) سواه و(عليّ بن أبي طالِبٍ) رضي الله عنه.

- فسد أمر الخلافة، ورقَّت أمور المسْلِميْنَ.

- كثر المتغلبون في أطراف الدولة، وتسموا بإمرة المؤمنين، ومنهم الفاطميون في الشمال الإفريقي، والحمدانيون في الموصل وحلب.

- وتعاظم أمر القرامطة بالعراق والجزيرة والشام وملكوا الإحساء وقتلوا بالنّاس مقتلة عظيمة، وغلب زعيمهم أبو طاهر القرمطي على مكة، وقلع الحجر الأسود، وقتل النّاس في الطواف.

نهايته:

كان للمقتدر خادمٌ اسمه مُؤنس - كان يستعين به في أكثر شؤونه — خرج عليه وعصاه، فاسترضاه المقتدر، فعاد إلى الطاعة، ثم لم يلبث أَنْ جمع حوله أنصاراً ودخل بهم دار المقتدر فأخرجه وأخرج معه أمَّه وأولاده وخواص جواريه واعتقلوهم في دار مؤنس سنَة (٣١٧ هـ) وبايعوا القاهر بالله (أخا المقتدر) فأقام يومين، فثارت فرقة من الجيش وأعادت المقتدر، وخرج مُؤنس الخادم من بغداد في جَمْعٍ من الجند والغلمان فقصد الموصل فاحتلَّها ثم عاد فهاجم بغداد، فبرز له المقتدر بعسكره، فانهزم أصحاب المقتدر وبقي منفرداً، فقُتِلَ وكان ذلك في شوال سنة عشرين وثلاثمئة (٣٢٠هـ) وسنُّه ثمان وثلاثون سنة.

وكانت ولايته خمساً وعشرين سنة غير شهرين.

ولاية القاهر (٣٢٠-٣٢٢هـ)

محمد بن أحمد بن طَلْحَة العباسي، القاهر ابن المعتضد ابن الموفق، أبو منصور.

بويع في أيام (المقتدر) أخيه، سنَة (٣١٧هـ)، وأقام يومين - كما مرَّ - وخُلِعَ وسُجِنَ، فلما قُتِلَ المقتدر سنَة (٣٢٠هـ) اختلفت الآراء فيمن يُقامُ بعْدَه خليفة، فقالَ مؤنس الخادم: هذا محمد بن أحمد المعتضد، رَجلٌ سُمي مرَّةً للخلافة، فهو أولى ممن لم يُسمَّ، فأُحضِر القاهرُ وبويعَ، ولما استتبَّ له الأمر كان أول عمل قام به أن قَتَلَ مؤْنِساً.

ولم تحسن سيرته في ولايته، فهاج عليه الجند وخلعوه، وسَمَلوا عينيه، وهو أوَّل من سُمِل من الخلفاء، وذلك يوم الأربعاء لست خلون من جمادى الأولى سنة اثنتين وعشرين وثلاثمئة، فكانت ولايته عاماً واحداً وستة أشهر، وحبس فترة ثم أطلق سراحه، فعاش خاملاً مُضاعاً فقيراً، إِلى أَنْ ماتَ سنة ثمان وثلاثين وثلاثمئة، وله ثمانٌ وخَمْسونَ سنَةً.

ولاية الرّاضي (٣٢٢-٣٢٩هـ)

أبو العباس محمد بن جعفر المقتدر، ولي بعد عمه القاهر، فأقام والياً إِلى أَنْ ماتَ ليلة السبت النصف من ربيع الأول سنة تسع وعشرين وثلاثمائة، وكانت ولايته سبع سنين، وسنُّه إحدى وثلاثين سنة.

وفي أيامه كثر المتغلبون[1]، فتغلب على كل ناحية مُتغلب، ومنهم الأخشيديون الذين تغلَّبوا على مصر خلَفاً للطولونيين.

ولاية المتّقي (٣٢٩-٣٣٣هـ)

أبو إسحاق إبراهيم بن جعفر، ولي بعد أخيه الراضي.

أقام والياً إلى أَنْ انخلع، وسُمِلَتْ عيناه، لسبع بقين من صفر، سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمئة، أمر بذلك توزون التركي إذ قام عليه، فكانت ولايته أربع سنين غير شهر.

وكان رجلاً صالحاً إلا أنه لم يتمكن من ولاية الأمور.

وعاش مخلوعاً إلى أَنْ ماتَ سنة ثلاث وأربعين وثلاثمئة. وسنُّه حين موته سبع وأربعون سنة.

ولاية المُسْتَكْفي (٣٣٣-٣٣٤هـ)

أبو القاسم عبد الله المستكفي بن عليّ المكتفي.

ولي بعد ابن عمِّه إبراهيم المتقي.

فأقام والياً إلى أَنْ خُلِع وسُمِلت عيناه في جُمادى الآخرة سنة أربع وثلاثين وثلاثمئة، بأمر أحمد ابن بويه الديلمي الأقطع، إذْ دخل بغداد وتغلَّب على الخلافة.

وكانت ولايته سبعة عشر شهراً، وعاش مخلوعاً إلى أَنْ ماتَ سنة تسع وثلاثين وثلاثمئة، وسنُّه إذ مات إحدى وخمسون سنة وشهور.

وفي أيامه انتهى نفوذ الترك في الخلافة، وبدأ نفوذ الديالمة من بني بويه.

---

[1] أمثال بني حمدان في حلب وبني بويه وغيرهم.

ب - نفوذ البويهيين
(٣٢٠ - ٤٤٧ هـ)

آل بويه، ينحدرون من بلاد الديلم جنوب بحر قزوين، وهم شيعة، وأول من برز منهم بويه بن شجاع، وكان فقيراً، صياد سمك، وكان أبناؤه أحمد وحسن وعليّ جنوداً في جيش أحد زعماء الديلم، وتدرجوا حتى صاروا أمراء في الجيش، ثم غلبوا على بلاد الديلم فاستولى على الأهواز والكرج وأصبهان والري وهمذان. حيث تعاظم نفوذهم ووصلوا إلى قمة المجد والسلطان والنفوذ، وسيطروا على مساحة شاسعة من أملاك الدولة العباسية.

امتد نفوذ البويهيين إلى بغداد نفسها معقل الخليفة العباسي، وأصبحوا يتحكمون في خلفاء العباسيين ويهينونهم، ويعينونهم ويخلعونهم كيفما شاؤوا!. ولم يبق للخلفاء معهم نفوذ ولا سلطان، وذهبت هيبة الخلافة طيلة هذا العهد، وأصبح مصير العالم الإسلامي مرتبطاً بهؤلاء السلاطين الجدد.

وأبرز حكامهم أبناء بويه بن شجاع:

- عماد الدولة علي: حكم فارس وله الإشراف والسلطان العام (٣٢٠ - ٣٣٨ هـ).

- ركن الدولة حسن: حكم الري وهمذان وأصفهان وطبرستان (٣٢٠ - ٣٦٦ هـ).

- معز الدولة أحمد: حكم العراق والأهواز وكرمان وواسط (٣٢٠ - ٣٥٦ هـ).

ثم انتهت السلطة إلى عضد الدولة (بن ركن الدولة)، وفي عهده بلغ بنو بويه أقصى درجات سلطانهم، وبعد وفاته دبت الحروب بين أبنائه الثلاثة،

واستمرت بين أخلافهم إلى نهاية دولتهم، وكان آخرهم (الملك الرحيم) ففي أخر أيامه حدثت فتنة البساسيري فدخل السلاجقة بغداد فقتلوا البساسيري وسجنوا الملك الرحيم، وأنهوا النفوذ البويهي في حاضرة الخلافة وبدأ يسطع في سمائها نجم السلاجقة.

وفي أيامهم تتابع على كرسي الخلافة في بغداد كل من

ولاية المطيع (٣٣٤-٣٦٣هـ)

أبو القاسم الفضل بن جعفر المقتدر، ولي بعد ابن عمه المستكفي، سنة أربع وثلاثين وثلاثمئة، فأقام والياً صورة ليس له من أمر الخلافة إلا الاسم إلى أَنْ فلج، وتخلى لابنه عن الأمر، وذلك سنة ثلاث وستين وثلاثمئة، فكانت مدة ولايته تسعاً وعشرين سنة وخمسة أشهر، وتوفي سنة أربع وستين وثلاثمئة وله أربع وستون سنة.

وفي أيامه ضعُفت الخلافة ووهت، فقد استمر سلطان العراق لعز الدولة بختيار بن معز الدولة ثاني سلاطين الديالمة في بغداد.

أهم الأحداث:

- امتداد نفوذ الفاطميين إلى مصر والشام كلها ومكة والمدينة.
- غلب الروم على إقْريطش والثغور الشامية وبعض الجزيرة.
- ردَّ القرامطة الحجر الأسود إلى مكانه من الكعبة، وذلك في عام تسع وستين وثلاثمئة (٣٦٩هـ).

ولاية الطائع (٣٦٣-٣٨٠هـ)

أبو بكر عبد الكريم، ولي بعد والده المطيع، وبقي خليفة إلى أَنْ خُلِع وسملت عيناه، سنة ثمانين وثلاثمئة، تولى خلعه وسَمْلَه خسرو فيروز البويهي، فكانت ولايته ستة عشر عاماً وأشهراً، وعاش بعد ذلك إلى أَنْ ماتَ سنة ثلاث وتسعين وثلاثمئة.

هذا وقد توالى على سلطان العراق في زمانه من آل بويه كل من:

١ - عز الدولة إلى سنة (٣٦٧هـ) حيث خلعه ابن عمِّه عضد الدولة.

٢ - عضد الدولة فنا خسرو إلى سنة (٣٧٢هـ).

٣ - صمصام الدولة أبو كاليجار المرزبان بن عضد الدولة إلى سنة (٣٧٦هـ).

٤ - شرف الدولة أبو الفوارس سيرزيل بن عضد الدولة إلى سنة (٣٩٧هـ).

٥ - بهاء الدولة أبو نصر فيروز بن عضد الدولة ، وهو الذي تولى خلع الطائع كما تقدَّم.

ولاية القادر (٣٨٠-٤٢٢هـ)

أبو العباس أحمد بن إسحاق بن جعفر المقتدر، تولى بعد ابن عمه الطائع، وأقام والياً إلى أَنْ ماتَ سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة، وقد بقي خليفة أكثر من أربعين سنة، ومات وهو ابن ثلاث وتسعين سنة.

في أواخر أيّامه توازع الأندلس ملك الطوائف، وبدأ حال المسلمين فيها بالإنحدار والتفكك، وانحسار ملكهم رويداً رويداً.

كان القادر صالحاً وله اشتغال بالعلم، وقد ترجمه الخطيب البغدادي في تاريخه[1] فقال: "رأيت القادر بالله دفعات، وكان أبيض حسن الجسم، كثَّ

[1] تاريخ بغداد (٤/ ٣٧)

اللِّحية طويلها، مخضباً، وكان من الستر والديانة وإدامة التهجد بالليل وكثرة البر والصدقات على صفة اشتهرت عنه وعرف بها عند كل أحد، مع حسن المذهب، وصحَّة الاعتقاد، وكان صنَّف كتاباً في الأصول ذكر فيه فضائل الصحابة على ترتيب مذهب أصحاب الحديث، وأورد في كتابه فضائل عمر بن عبد العزيز ..."

وقد ملك العراق في زمنه من سلاطين بني بويه:

١ - بهاء الدولة أبو نصر فيروز بن عضد الدولة إلى سنة (٤٠٣هـ).

٢ - سلطان الدولة أبو شجاع بن بهاء الدولة إلى سنة (٤١٢هـ).

٣ - شرف الدولة عليّ بن بهاء الدولة إلى سنة (٤١٦هـ).

٤ - جلال الدولة أبو طاهر بن بهاء الدولة، وقد استمر سلطاناً إلى أيام القائم بأمر الله.

ولاية القائم بأمرِ الله (٤٢٢-٤٦٧هـ)

أبو جعفر عبد الله بن القادر بالله، ولي بعد أبيه القادر بالله، فأقام والياً إِلى أَنْ ماتَ سنة سبع وستين وأربعمائة، وكانت خلافته خمساً وأربعين سنة.

وفي أيامه:

= مَلكَ المرابطون المغرب والأندلس.

= وغربت شمس الدولة البويهية على يد السلاجقة.

وقد ملك بغداد في أيامه من بني بويه كل من:

١ - جلال الدولة أبو طاهر بن بهاء الدولة إلى سنة (٤٣٥هـ).

٢ - محيي الدين أبو كاليجار المرزباني بن سلطان الدولة بن بهاء الدولة إلى سنة (٤٤٠هـ).

٣ - الملك الرحيم أبو نصر خسرو فيروز، وبه انتهى سلطان البويهيين وانتقل النفوذ إلى السلاجقة على يد طغرل بك، وذلك في الخامس والعشرين من المحرم سنة (٤٤٨هـ).

وأما سلاطين السلاجقة أيام القائم بأمر الله فهم:

١ - طغرل بك إلى سنة (٤٣٢ هـ).

٢ - ركن الدين أبو طالب بن طغرل بك إلى سنة (٤٥٥هـ)، ولم تطل مدَّته.

٣ - ألب أرسلان عضد الدولة أبو شجاع إلى سنة (٤٦٥هـ).

ويعد ألب أرسلان واسطة العقد في عصر النفوذ السلجوقي، وفي أيامه وقعت معركة ملاذ كرد مع الروم، وكان عهده عهد نمو وارتقاء لا للسيف وحده بل للعلم أيضاً، فإن وزيره نظام الملك أسس في عهده المدرسة النظامية ببغداد التي درَّس فيها فيما بعد الإمام أبو حامد الغزالي (ت: ٥٠٥هـ) رحمه الله تعالى.

٤ - ملكشاه جلال الدولة أبو الفتح بن ألب أرسلان، ولأوائل سلطنته توفي الخليفة القائم بأمر الله.

جـ - النفوذ السلجوقي

(٤٣٢ - ٥٤٧ هـ)

السَّلاجِقة من قبائل الغز الكبيرة من الترك، ينسبون إلى مقدَّمهم سُلجوق بن تقاق، كان يعيش في تركستان تحت حكم الأتراك الوثنيين، استنجد به السامانيون لردِّ غارات الترك عن بلادهم، فأمدَّهم بولده أرسلان، ومن بعده ميكائيل بن أرسلان.

خلَفَ ميكائيل ولداه طغرل بك، وداود بك، وزالت الدولة السامانية عام (٣٩٠ هـ)، فاستولى طغرل بك على مرو ونيسابور وجرجان وطبرستان وكرمان والديلم وخوارزم وأصفهان وغيرها من الأقاليم، وأعلن قيام دولتهم سنة (٤٣٢ هـ)، وقد تقاسم السلاجقة البلاد الواسعة التي سيطروا عليها[1]، وأصبح طغرل بك ملكاً عليهم جميعاً، واتَّخذ الريَّ عاصمةً له.

وفي سنة (٤٤٨ هـ) دخل طغرل بك بغداد وقبض على الملك الرحيم آخر سلاطين بني بويه، وبذلك انتهى نفوذ بني بويه وقضي على دولتهم، وأخذ مكانهم السَّلاجقةُ الذين أصبحوا أصحاب النفوذ في حاضرة الخلافة

---

[1] انقسمت الدولة السلجوقية في أوج امتدادها إلى خمسة بيوتات كبيرة:

١ - السلاجقة العظمى، وقد ملَكتْ خراسان والري والعراق والجزيرة وفارس والأهواز.

٢ - سلاجقة كرمان.

٣ - سلاجقة العراق وكردستان (تفرَّعوا عن السَّلاجقة العظام).

٤ - سلاجقة سوريا.

٥ - سلاجقة الروم (آسيا الصغرى).

العباسية، وكان دخولهم إلى بغداد بسبب فتنة **البساسيري** - وهو أَنَّ أحد القواد الأتراك التّابعينَ للملك الرحيم - كان قد تمرَّد على سيِّده وعلى الخليفة، وحاول أَنْ يستبدَّ بالأمر، وحصلت فتنةٌ عظيمةٌ في بغداد، وكاد الخليفة (القائم) أَنْ يُقتَلَ فيها، فاستنجد بـ(طغرل بك السلجوقي) الذي قَدِم، وقضى على البساسيري، فخضع له الخليفة، واستمر السَّلاجقةُ سلاطين في بغداد إلى سنة (٥٨٣هـ) إلى زمن المقتفي لأَمرِ الله، حيث ضعف شأْنُهُم، واستقلَّ الخُلفاءُ بالأمر دونهم، إلى سقطت بغداد بيد التتار على ما سيأتي.

أبرز سلاطين السلاجقة:

- المؤسس ركن الدين طغرل بك (٤٣٢ - ٤٥٥ هـ)

- ألب أرسلان (٤٥٥ - ٤٦٥ هـ)، وهو من أعظم سلاطينهم، وتمثل أيّامه واسطة عقد دولتهم.

- ملكشاه بن ألب أرسلان (٤٦٥ - ٤٨٥ هـ).

المقتدي بأمر الله (٤٦٧-٤٨٧هـ)

أبو القاسم عبد الله بن أبي العباس محمد بن القائم بأمر الله، ولي الخلافة بعد جده القائم بأمر الله، سنة (٤٦٧هـ)، وبقي إلى أنْ مات في المحرم من سنة (٤٨٧هـ)، فكانت مدَّته تسعةَ عشرَ عاماً وثمانية أشهر.

وقد كان المقتدي من خيرة بني العباس قويَّ النَّفس، عظيم الهمَّة، أصلح كثيراً من الأحوال والمفاسد التي كانت تجري في (بغداد) قبله.

وكان سلطان السَّلاجقة في عهده (ملكشاه بن ألب أرسلان) الذي كان عادلاً، فاضلاً، شجاعاً صائب الرأْي والتَّدبير، ميمون النَّقبية، وكذلك كان وزيره (نظام المُلك)، الذي كان معدوداً من العلماء الأجواد. توفي ملكشاه سنة (٤٨٥هـ).

وفي أيامه استولى الفرنج على (جزيرة صقليَّة) في سنة (٤٨٤هـ) .

المستظهر بالله (٤٨٧-٥١٢هـ)

أبو العبّاس أحمد بن عبد الله المُقتدي بأمر الله، ولي الخلافة بعد أبيه المقتدي، وبقي إلى أنْ مات في ربيع الآخر سنة (٥١٢هـ) فكانت مدته أكثر من خمس وعشرين سنة، وله من العمر (٤١ سنة).

وتعاقب على سلطان العراق في زمنه ثلاثة من السَّلاجقة وهم :

١ - أبو المظفر بركيا روق بن ملكشاه: بقي حتى مات سنة (٤٩٧ هـ) ، وفي عهده بدأ الخلاف يدبُّ بين أفراد البيت السَّلجوقي .

٢ - محمد بن ملكشاه، واستمر ملكه حتى توفي سنة (٥١١هـ)، وعمره (٢٧) سنة وكان حسن السّيرة عادلاً .

٣ - مغيث الدّين والدُّنيا أبو القاسم محمود بن محمَّد بن ملكشاه، وخُطب له ببغداد من ١٣ محرم (٥١٢هـ) وعمره يومئذ (١٤) سنة .

وفي أيام (المستظهر بالله) وقعت كثير من بلاد الشام في أيدي الصليبيين الفرنجة فقد

- استولوا على كلٍّ من (إنطاكية) ثمَّ (جبيل) و(عكا) سنة (٤٩٧هـ).

- ودخلوا (القدس) سنة (٤٩٢هـ) وقتلوا فيها من المسْلِميْنَ (٩٠ ألف نفس) في يومٍ واحدٍ وكانت مجزرةً رهيبةً.

- وفي سنة (٥٠٢هـ) دخلوا إلى (طرابلس).
- وفي سنة (٥٠٤هـ) دخلوا (صيدا).

المسترشد بالله (٥١٢-٥٢٩هـ)

هو أبو منصور الفضل بن المستظهر بالله، بويع بالخلافة بعد موت أبيه، وبقي إلى أنْ قُتل في يوم الأحد في ١٧ ذي القعدة سنة (٥٢٩هـ)، فكانت ولايته سبعةَ عشرَ سنة وسبعة أشهر، وكان له من العمر حين وفاته (٤٤) سنة.

كان (المسترشد) معدوداً من الفقهاء.

وفي أيامه:

- بدأ ظهور دولة الموحِّدين على أنقاض دولة المرابطين في المغرب والأندلس.

- وأفضى سلطان العراق للسُّلطان (محمود بن محمَّد بن ملكشاه السلجوقي) حتى توفي سنة (٥٢٥هـ)، وأُقيم مكانه ابنه (داود بن محمود بن محمَّد) .

- وقعت حرب بين الخليفة، وبين السَّلطان (مسعود بن محمَّد بن ملكشاه)، وذلك في سنة (٥٢٩هـ)، وقد أُسر فيها الخليفة، وقُتل في أَسْره، وبقي القضيب والبردة عند السلطان (مسعود).

الراشد بالله (٥٢٩-٥٣٠هـ)

أبو جعفر المَنْصور بن المُسترشد بالله.

بويع بالخلافة بعد وفاة أبيه، وكان المستولي على الملك في أيامه السلطان مسعود السلجوقي، فتنافرا، ونشبت فتنة بينهما، أدَّت إلى خلعه بعدَ أحدَ عشرَ شهراً تقريباً، وذالك في الثّامن من ذي الحجّة سنَة (٥٣٠) بفتوى بعضِ فقهاءِ بغداد، وكان حينها بالموصل، فأمر السلطان بالقبض عليه، فهرب، ولم يزل يتقلب به البلاد إلى أن اغتيل وهو على باب أصبهان في السادس والعشرين من رمضان سنة (٥٣٢هـ)، وله من العمر ثنتان وثلاثون سنةً، ودفن بشهرستان، وصِفَ بحسن السيرة وإيثار العدل، وكره الشَّرِّ، وكان أديباً شاعراً، سمحاً جواداً.

وفي أيّامه كان سلطان السَّلاجقة منقسماً بين اثنين منهم:

١ - السُّلطان (داود بن محمود بن محمَّد) وكان الخليفة وملوك النَّواحي ومنهم (عماد الدّين زنكي) إلى جانبه .

٢ - السُّلطان (مسعود بن محمَّد) عمّ السُّلطان (داود) .

د ــ استقلال الخلفاء ببغداد

إلى نهاية العباسيين

(٥٤٧ ــ ٦٥٦هـ)

تقدَّم أنَّه في زمن الراشد بالله انقسم سلطان السلاجقة، هذا الانقسام أدَّى إلى وقوع الوَهَنِ والضعف في البيت السُّلْجوقيِّ، هذا الضعف أفضى إلى فقدان نفوذهم في بغداد، فقد قام بشأن هذا الدولة في أيام المقتفي اثنان هما (مسعود بن محمود)، و(داود بن محمد) الذي كانت نهايته القتل، وبذلك لم يعدْ لأحدٍ من السلاطين نفوذ ببغداد، ورجع الأمر إلى الخليفة، وإن كان نفوذه لا يتعدى بغداد ومحيطها، حيث بلغ نفوذ الدّويْلاتِ المُستقلَّة عن الخلافة أرجاء العالم الإسلامي، وبذلك بلغت الخلافة في بغداد منتهى الضعف الذي جعلها لاتستطيع الوقوف في وجه التَّيارِ المغولي الزّاحف.

وخلفاء هذه المرحلة هم:

المُقتفي لأمر الله (٥٣٠-٥٥٥هـ)

هو أبو عبد الله محمَّد بن المُستَظهر بالله. بويع بالخلافة بعد خلع ابن أَخيه، وبقي إلى أنْ مات في الثّاني من ربيع الأول سنة (٥٥٥هـ)، فكانت مدّته (٢٤) سنة، وبضعة أشهرٍ، وله من العمر (٦٦) سنةً.

وفي أيّامه:

- كانت الحملة الصَّليبيَة الثّانية .

- وأُعيد القضيب والبردة إلى الخليفة بعد أنْ كانت عند السلطان (مسعود).

- ومات السلطان (مسعود بن محمود) سنة (٥٤٧ هـ) .

- وكان السّلطان (داود بن محمد) قد قُتل غيلة سنة (٥٣٨ هـ) .

- وفي سنة (٥٥٢ هـ) أمر الخليفة بقلْع باب الكعبة، وأقام مكانه باباً مصفَّحاً بالفضَّة المذهَّبة، وعمل من الباب السّابق تابوتاً ليدفن فيه.

المُستنجد بالله (٥٥٥-٥٦٦هـ)

هو أبو المظفَّر يوسف بن المُقتفي لأمر الله.

بويع بالخلافة بعد أبيه، وبقي إلى أنْ مات في ربيع الآخر سنة (٥٦٦هـ) فكانت مدته (١١) سنة ، وله من العمر (٥٦) سنة.

وقد كان الخليفة (المُستنجد) متحلياً بالفهم، والذكاء، والرأي السديد، والفضل والأدب. ومن كلامه الدّالُّ على ما حليَّ به من فهمه وسداد فكره: "عملت حساب لذَّتي قبل الخِلافة، فما وصلت إِليَّ حتى قضَيْتُ نهمتي من الأمور التي لا تليق بها.

ولم يكن للسَّلاجقة في زمنه سلطان على (العراق) بل استقل بأمرها الخليفة.

وفي أيّامه استوزر (العاضِدُ) الفاطمي صاحب مصر (أَسد الدّين شيركوه الأيوبي) ثمَّ استوزر بعده (السُّلطان صلاح الدين يوسف الأيوبي) .

المُستضيء بأمر الله (٥٦٦-٥٧٥هـ)

هو أبو محمَّد الحسن بن المستنجد بالله.

بويع بالخلافة يوم موت أبيه، وبقي إلى أنْ مات في ذي القعدة سنة (٥٧٥هـ) ، فكانت مدته (٩) سنين وأشهراً، وله من العمر (٣٩) سنة.

- وفي زمنه كانت وفاة آخر العبيديين الفاطميين بمصر، وبه انتهت دولتهم في (مصر)، وحكمها السلطان الأيوبي صلاح الدين، وذلك من بداية المحرم سنة (٥٦٧هـ).

- وغابت في أيامه شمس الدولة الزنكية في الشام ومصر، وخلفهم الأيوبيون الذين امتد رواق حكمهم من الشام ومصر إلى اليمن.

وكانت أيام (المُستضيء) أيام عدلٍ وبذْلٍ وسخاءٍ.

الناصر لدين الله (٥٧٥- ٦٢٢هـ)

هو أبو العبّاس أحمد بن المُستضيء بأمر الله.

بويع بالخلافة بعد أبيه، وبقي إلى أنْ مات آخر رمضان سنة (٦٢٢هـ)، فكانت مدته قريباً من (٤٧) سنة، فهو أطول الخلفاء العباسيين مدَّةً على الإطلاق، وله من العمر إذْ مات (٦٩) سنة.

وفي أيّامه:

- استردَّ (يوسف صلاح الدين الأيوبي) بيت المقدس من أيدي الصَّليبيين سنة (٥٨٣هـ) بعد أنْ بقيت في أيديهم (٩١) سنة.

- وفي سنة (٥٨٩ هـ) توفي السُّلطان الناصر (صلاح الدّين الأيوبي) رحمه الله.

- وفي سنة (٦٠١هـ) كانت الحملة الصَّليبية الرّابعة التي توجَّهت إلى (القسطنطينية) عاصمة الروم، ودخلتها، وبقيت (القسطنطينية) بيد الصليبيين حتى سنة (٦٦٠هـ).

- وكانت (الكعبة) تكسى ديباجاً أبيض من أيام (المأمون) إلى زمن (النّاصر) وفي أيام (النّاصر) كساها ديباجاً أخضر ، ثمَّ بعد ذلك كساها ديباجاً أسود.

الظاهر بأمر الله (٦٢٢-٦٢٣هـ)

هو أبو نصر محمَّد بن النّاصر لدين الله.

بويع بالخلافة إذ مات أبوه، وبقي إلى أنْ مات في رجب من سنة (٦٢٣هـ)، فكانت مدته (٩) أشهر ونصف الشهر، له من العمر إذ توفي (٥٢) سنة.

كان (الظاهر) رجلاً صالحاً، عادلاً، أبطل المفاسد وعمل على إبطال ما كان قبله من المظالم، حتى اعتُبر بحقٍّ من خيرة خلفاء بني العبّاس، وحتى قال فيه ابن كثير في (تاريخه): (أعاد سنَّة العُمرين، فلو قيل ما ولي الخلافة بعد عمر بن عبد العزيز مثله لكان القائل صادقاً).

المُستنصر بالله (٦٢٣-٦٤٠هـ)

هو أبو جعفر المنصور بن الظاهر بأمر الله. بويع إذْ مات أبوه، وبقي إلى أنْ مات في جمادى الآخرة (٦٤٠هـ)، فكانت مدَّته (١٧) سنة تقريباً، وله من العمر (٥٢) سنة.

وفي أيامه:

- قويَ أَمرُ (المغول) بقيادة (جنكيز خان).

- وفي سنة (٦٢٥هـ) تسلَّم الصَّليبيون (القدس) صلحاً، سلَّمها لهم (الملك الكامل بن الملك العادل سيف الدّين) وهو ابن أَخ (صلاح الدّين الأيوبي) وكانت وفاة (الملك الكامل) سنة (٦٣٥هـ) وتولَّي بعده (الملك الصالح أيوب)، ولم يلبث أَنِ استردَّ (بيت المقدس) من الصَّليبيين.

- وفي سنة (٦٤٨هـ)، كانت معركة المنصورة التي انهزم فيها الصليبيون شرَّ هزيمة، قتل منهم (٣٠ ألفاً)، وأُسِر ملك الفرنسيين (لويس التاسع)، وبقي في الأسر مع النُّبلاء الذين كانوا معه حتى دفع (الفدية)، ثمَّ أطلق سراحهم جميعاً.

- وفي السنة نفسها كانت نهاية (الدولة الأيوبية) بمصر على يد زعماء المماليك، بالاتفاق مع (شجرة الدُّر) زوجة (الملك الصالح أيوب)، الذي كان قد مات قبل معركة (المنصورة)، فاستلم مكانه ابنه (توران شاه)، فقاد معركة المنصورة ثمَّ قتله المماليك في (القاهرة).

المُستعصم بالله (٦٤٠-٦٥٦هـ)

آخر الخلفاء العباسيين في بغداد

وهو أبو أحمد عبد الله بن المستنصر بالله.

بويع بالخلافة إذ مات أبوه ، وبقي إلى أنْ قتل بين يدي (هولاكو خان) ملك التَّتار في العشرين من محرم سنة (٦٥٦هـ).

وبذلك غابت شمس الخلافة العبّاسية عن (بغداد) لتنتقل إلى مصر.

كانت مدَّته في الخلافة (١٥) سنة و(٧) أشهر. وله من العمر إذْ قتل (٤٧) سنة.

ثانياً: أهم الدول المستقلة

في العصر العباسي الثاني

استقلَّت دول كثيرة جداً في هذه الفترة (٢٤٧ - ٦٥٦ هـ)، وقد قام المستشرق زامباور برصد واستقراء تلك الدول والأسر التي حكمت في مؤلفه الشهير (معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي)، كما جمع المستشرق أرنولد توينبي هذه الدول في كتابه (الدول الإسلامية)، وقد اقتصرت في هذه المذكرة على ذكر أهم هذه الدول، وهي:

الدولة	المكان	مدَّة الدولة
الطولونية	مصر والشام	٢٥٤ - ٢٩٢ هـ
الفاطمية	شمال إفريقية وامتدت إلى مصر والشام	٢٩٧ - ٥٦٧ هـ
الحمدانية	الموصل وحلب	٣١٧ - ٣٩٤ هـ
الأخشيدية	مصر	٣٢٣ - ٣٥٨ هـ
ملوك الطوائف	الأندلس	٤٢٢ - ٤٨٤ هـ
المرابطون	المغرب والأندلس	٤٤٨ - ٥٤١ هـ
الموحدون	المغرب والأندلس	٥٤١ - ٦٦٨ هـ
الزنكية	الشام ومصر	٥٢١ — ٦٦٥ هـ
الأيوبية	مصر والشام اليمن	٥٦٧ - ٦٤٨ هـ

الدولة الطولونية

تعدُّ الدولة الطولونية أول دولة تستقلُّ بمصر عن مركز الخلافة في بغداد، فقد عيَّنَ الخليفةُ العباسي المعتزُّ في عام (٢٥٤ هـ) أميراً تُركياً على مصر هو (بايكباك) وهو بدوره أناب عنه أحمد بن طولون (الذي كان أبوه من مماليك الترك، وكان رئيس حرس الخليفة المأمون).

استقل أحمد بمصر، وكوَّن جيشاً عظيماً، فاستولى على بلاد الشام، ثم زحف شمالاً إلى طرسوس، وتولى حماية الثغور من الروم، واستمر حكمه من سنة (٢٥٤ هـ) إلى أن توفي سنة (٢٧٠ هـ).

تولَّى خَمارويه بن أحمد بعد وفاة أبيه واستمر في حكمه من سنة (٢٧٠هـ) إلى سنة (٢٨٢ هـ) وقد جرَت بينه وبين الخليفة العباسي المعتمد عدة حروب، ثم تصالحا وتزوَّج الخليفةُ المعتضد بنتَ خمارويه، وتعتبر هذه الزيجة من أبرز الزيجات التي دونها التاريخ ولا يضاهيها في عظمتها ومواكبها وما أنفق عليها إلا زواج الرشيد من زبيدة، وزواج المأمون من بوران، وأفقرت هذه الزيجة خزينة خمارويه.

بعد خمارويه عمَّت الفوضى في البلاد، إلى أَنْ انهارت الدولة عام (٢٩٢ هـ).

الدولة الفاطمية (العبيدية)

(٢٩٧ - ٥٦٧ هـ)

نسبة إلى السيدة فاطمة الزهراء رضي الله عنها، حيث ذكر بعض المؤرخين أَنَّهُم ينسبون إلى إسماعيل بن جعفر الصادق، ورجح كثير من المؤرخين عدم صحة نسبهم هذا وأَنَّهُم إنما ينتسبون إلى رجل فارسي اسمه عبد الله بن ميمون القداح الأهوازي.

مؤسس هذه الدولة عبيد الله بن محمد المهدي، وإليه تنسب الدولة، وكان أبوه قد استطاع نشر الدعوة الفاطمية في بلاد اليمن، ثم اليمامة والبحرين والسند ومصر والمغرب. ثم واصل عبيد الله طريق والده، ووسع نفوذه، وتصدى للهجمات والثورات حتى قبض عليه اليسع بن مدرار أمير سجلماسة وسجنه، واصل قائده أبو عبد الله الشيعي معاركه، ومدَّ نفوذه إلى أكثر أجزاء المغرب، ودخل أخيراً (رقادة) عام (٢٩٦ هـ). ثم سار إلى سجلماسة فهرب حاكمها.

فأطلق سيدَه عبيدَ الله من الأَسْرِ عام (٢٩٦ هـ) فبايعوه، وتلقب بخليفة المسْلِمِيْنَ وأمير المؤمنين، وواصل تمددَه، إِلى أَنْ دان له الشمال الأفريقي كاملاً، واتخذ القيروان عاصمة ملكه، وفي عام (٣٠٤ هـ) بنى مدينة (المهدية) وجعلها عاصمته، مات سنة (٣٢٢ هـ)، فخلفه ابنه القائم.

وفي سنة (٣٥٨ هـ) تمكَّن القائد الفاطمي جوهر الصقلي من الاستيلاء على مصر سلماً بعد أن أنهى حكم الإخشيديين فيه، فأجرى الكثير من

الإِصْلاحات الداخلية، ومن أبرز أعماله بناء مدينة القاهرة، وبناء الجامع الأزهر.

ثم انتقل الخليفة الفاطمي المعز لدين الله إلى القاهرة سنة (٣٦٢ هـ)، واتخذها عاصمة ملكه.

هذا وقد امتدت سيطرت الفاطميين فبلغت حدودها في أقصى اتساعها من نهر العاصي بالشام إلى حدود مراكش، ومن السودان إلى آسيا الصغرى. ففاقوا بذلك ممالك ذلك العصر، ثم دبَّ الوهن شيئا فشيئا حتى تسلط القادة على الخلفاء الفاطميين وحصل نزاع النفوذ بين القادة أنفسهم مما اضطر الخليفة الفاطمي العاضد أَنْ يستعين بنور الدين زنكي الذي أرسل له (أسد الدين شيركوه الأيوبي)[1] فاستوزه، ثم استوزر من بعده صلاح الدين الأيوبي، الذين بقي وزيراً إِلى أَنْ توفي العاضد الفاطمي سنة (٥٦٧ هـ)، وبوفاة العاضد انتهت الدولة، واستقل السلطان صلاح الدين بالأمر.

ومن أبرز حكامها:

- عبيد الله المهدي (٢٩٧ - ٣٢٢ هـ)
- القائم أبو القاسم محمد (٣٢٢ - ٣٣٤ هـ).
- المعز لدين الله (٣٤٢ - ٣٦٥ هـ).
- العزيز بالله (٣٦٥ - ٣٨٦ هـ).
- الحاكم بأمر الله (٣٨٧ - ٤١١ هـ).

---

[1] وهو عم السلطان الناصر صلاح الدين الأيوبي.

الدولة الحمدانية في الموصل وحلب

(٣١٧ - ٣٩٤ هـ)

ينتسب الحمدانيون إلى حمدان بن حمدون التغلبي، قام حمدان بدور هام في الحوادث السياسية في الموصل منذ عام (٢٦٠ هـ)، ثم اشتهر ابنه الحسين بن حمدان بحروبه ضد القرامطة، وعيَّن الخليفةُ المقتدر عبدَ الله بن حمدان على الموصل وما حولها عام (٢٩٢ هـ)، وبعد سيطرة بني بويه على مركز الخلافة طرَد معزُ الدولة البويهي الحمدانيين من الموصل، فذهبوا إلى حلب، وكان سيف الدولة الحمداني قد استقل بها عام (٣٣٣ هـ)، ثم استعادوا الموصل، ولكن دبَّ فيهم الضعف والتناحر إلى أنْ أزال الأكراد دولتهم في الموصل عام (٣٨٠ هـ)، أما حلب فقد استقل بها سيف الدولة (٣٣٣ - ٣٥٦ هـ)، وقد كانت له وقائع كثيرة مشهورة مع البيزنطيين، وكان يوغل في بلاد الروم، وتولى بعده ابنه سعد الدولة، ثم ضعفت الدولة، واستمرت في الضعف حتى قضى عليها الفاطميون في حلب عام (٣٩٤ هـ).

أبرز الحكام:

- ناصر الدولة أبو محمد الحسن (٣٠٨ - ٣٥٨ هـ).
- سيف الدولة أبو المحاسن عليّ (٣٣٣ - ٣٥٦ هـ).
- سعد الدولة أبو المعالي شريف (٣٥٦ - ٣٨١ هـ).

الدولة الأخشيدية في مصر

(٣٢٣ - ٣٥٨ هـ)

يرجع أصل الأخشيديين إلى أتراك من فرغانة (من بلاد ما وراء النهر)، وقد أسس هذه الدولة محمد الأخشيد بن طغج، وكان من موالي ابن طولون فبعد الدولة الطولونية ظلت مصر تحت الخلافة العباسية مباشرة ٣٠ سنة (٢٩٢ - ٣٢٣ هـ)، فتولاها محمد الأخشيد من قبل الخليفة الراضي، وازدهرت البلاد في عهده، واستطاع أَنْ يضم بلاد الشام، ثم ضم الحجاز، وحاول سيف الدولة الحمداني انتزاع الشام منه ففشل، وبعد موته خلفه ابناه وكانا صغيرين، فكانا تحت وصاية مولاه كافور الذي كان عبداً حبشياً للأخشيد، فحكم الدولة واستبدَّ بالأمر دونهما، وحارب الحمدانيين، وراجت التجارة في عَصْرِهِ، وشجَّع الأدباء والشعراء ومنهم أبو الطيب المتنبي، وبعد وفاته ضعفت الدولة، حتى قضى عليها الفاطميون عام (٣٥٨ هـ).

أبرز الحكام:

- محمد الأخشيد بن طغج (٣٢٣ - ٣٣٤ هـ). ٣٣٤-٣٥٥ ؟؟
- أبو المسك كافور (مولى الأخشيد) (٣٥٥ - ٣٥٨ هـ).

ملوك الطوائف في الأندلس

(٤٢٢ - ٤٨٤ هـ)

بعد أَنَّ ضعُفَتِ الدولة الأموية في الأندلس، استبدَّ العامريون بالسُّلطة وبدأ أُمراء الطوائف يستقلّون بالإمارات التي يحكمونها، فعُرفوا بملوك الطوائف، وانقسموا إلى أكثر من ٢٠ دويلة، استبدَّ التَّناحر والنِّزاع فيما بينها وشهدت الأندلس اضطرابات وفوضى وكثرت الفتن.

* * *

أهم هذه الدويلات:

- الدولة الزيرية: في غرناطة (٤٠٣ - ٤٨٣ هـ) وهم من البربر.

- الدولة الحمودية: التي تنقلت بين قرطبة ومالقة والجزيرة الخضراء في الفترة (٤٠٧ - ٤٥٠ هـ) وهم شيعة ينتسبون إلى إدريس (من سلالة الحسن بن علي).

- الدولة الهودية: في سرقسطة (٤١٠ - ٥٣٦ هـ) وهم عرب.

- الدولة العامرية: في بلنسية (٤١٢ - ٤٧٨ هـ) وهم من موالي بني عامر.

- الدولة العبادية: في أشبيلية (٤١٤ - ٤٨٤ هـ) وهم عرب من بني لخم، وهي أشهر وأقوى هذه الدول، وأبرز حكامها المعتمد بن عباد.

- دولة بني الأفطس: في بطليوس (٤٢١ - ٤٨٧ هـ).

- الدولة الجهورية: في قرطبة (٤٢٢ - ٤٦١ هـ)، وقد قضى عليها بنو عبّادٍ.

- دولة ذي النون: في طليطلة (٤٢٧ - ٤٨٧ هـ) وهم بربر.

وكانت هذه الدويلات ضعيفة ومتفرقة ومتناحرة، ولم يتوان بعضهم عن الاستنجاد بملوك الفرنجة ضدَّ إِخوانِه المسْلِميْنَ.

دام أمرهم قرابة مئة سنة استطاع - في آخر الأمر - ملوكُ الأسبان أَنْ يجمعوا كلمتهم، فأخذوا يبتلعون هذه الإمارات، حتى بلغوا أشبيلية (أكبر الممالك الإسلامية بالأندلس)، فطلب حاكمها المعتمد بن عبّاد النَّجدَة من يوسف بن تاشفين أمير دولة المرابطين في المغرب، ولما حذَّره بعض أتباعه من مغبةِ ذلك قال قولته المشهورة: "لأنْ أكونَ سائق جمال في صحراء أفريقية خير من أنْ أَرعى الخنازير في قشتالة"، فقَدِم يوسفُ بنُ تاشَفين، وهزمَ الإسبان، ومحا ملوك الطوائف ووحد الأندلس، فأصبحت جزءاً من دولة المرابطين.

دولة المرابطين في المغرب والأندلس

(٤٤٨ - ٥٤١ هـ)

المرابطون بربر من قبيلة لمتونة وهي فرع من صنهاجة، سموا بالمرابطين لأنَّهُم تتلمذوا على يد عبد الله بن ياسين في الرِّباط الذي أنشأه للدرس والعبادة في صحراء المغرب، وكانوا يعرفون (بالمُلَثَّمينَ) أيضاً.

تولى أبو بكر بن عمر اللمتوني تنظيمهم والجهاد بهم، ففتح السوس والصامدة، وكان معه في الجيش ابن عمه يوسف بن تاشفين الذي ارتفع شأنه، فاضطر أبو بكر أَنْ يتنازل له عن السلطة، وَهوَ أوَّلُ ملِكٍ بَرْبَريٍّ حكَمَ المغْرِبَ (وكانَ جيْشُه خَليطاً مِنْ جَميعِ قَبائلِ المغْرِبِ) وَيُقالُ إِنَّه كانَ أَعْظَمَ الحُكّامِ المسْلِميْنَ في عَصْرِهِ.

دخول الأندلس تحت حكم المرابطين:

استنجد المعتمد بن عباد حاكم أشبيلية في الأندلس بيوسف بن تاشفين ضد الأسبان، فزحف من فوره، والتقى بالنصارى بقيادة ملكهم الفونس السادس وهزمهم شر هزيمة في معركة الزلاقة الشهيرة عام (٤٧٩ هـ)، استولى بعدها على كل الأندلس، فوحدها وأزال ملوك الطوائف الضعفاء، فأصبحت الأندلس جزءاً من دولة المرابطين، وامتدت دولته في المغرب من تونس شرقاً إلى المحيط الأطلسي غرباً، ومِنَ البحر المتوسط شمالاً إلى حدود السودان جنوباً، واختطَّ مدينة مراكش، وجعلها عاصمة مملكته.

بعد وفاة يوسف خلفه ابنه عليّ بن يوسف، فواصل جهاد والده وانتصر على نصارى الأسبان في **موقعة أقليش** عام (٥٠٢ هـ) وهي أعظم موقعة بعد موقعة الزلاقة بعد ذلك أخذت الدولة تضعف وتضمحل، حتى قضى عليها الموحِّدون سنة (٥٤١ هـ).

أبرز حكامها:

- يحيى بن عمر (مؤسس الدولة): توفي عام (٤٤٨ هـ).
- أبو بكر بن عمر (٤٤٨ - ٤٥٣ هـ).
- يوسف بن تاشفين (٤٥٣ - ٥٠٠ هـ).
- عليّ بن يوسف (٥٠٠ - ٥٣٧ هـ).

دولة الموحدين (المغرب والأندلس) (٥٤١ ـ ٦٦٨ هـ)

بدأت على يدِ محمد بن تومَرت من قبيلة مصمودة، وكان ابن تومرت هذا قد ادعى أنه المهدي المنتظر، وأنه معصوم، وبدأ دعوته في أغمات، ودعا إلى إزالة دولة المرابطين بسبب ظلمهم وتعسُّفهم وتخلّيهم عن مبادئ الشريعة الإسلامية، وكانت للموحدين فلسفة في الحكم قوامها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع الزُّهد في الدنيا.

بعد وفاة المهدي بن تومرت تزعَّم الدولة **عبد المؤمن بن عليّ** الذي قضى على دولة المرابطين سنة (٥٤١ هـ)، واستطاع أَنْ يُخْضِعَ بلاد المغرب كلها تحت نفوذه، وتوفي في (٥٥٨ هـ).

أبرز من جاء بعد عبدِ المؤمن **يعقوبُ بن يوسف** الذي انتصر على النصارى في الأندلس انتصاراً ساحقاً في **معركة الأرك** سنة (٥٩١ هـ)، واستطاع إخضاع معظم بلاد الأندلس تحت راية الموحِّدين، ولكن الموحِّدين عادوا فهُزِموا في موقعة **حصن العقاب** سنة (٦٠٩ هـ).

بدأت الدولة تضعف بسبب الحروب الداخلية بين زعمائها في الفترة (٦٠٩ - ٦٦٨ هـ) واستغلَّ الأسبانُ ذلك فاستولوا على معظم مدن الأندلس في هذه الفترة.

وأبرز حكام الموحدين:

- محمد بن تومرت (المهدي) (٥١٤ - ٥٢٤ هـ).
- عبد المؤمن بن عليّ (٥٢٤ - ٥٥٨ هـ).
- يوسف بن عبد المؤمن (٥٥٩ - ٥٨٠ هـ).
- يعقوب بن يوسف (٥٨٠ - ٥٩٥ هـ).

الدولة الزنكية (الشام ومصر)

(٥١١ - ٦٦٩ هـ)

وهم أتراك الأصل وينتسبون إلى السَّلاجقة (سلاجقة الشام)، وتعود هذه الدولة إلى **عماد الدين زنكي** بن آق سنقر، وكان أبوه مملوكاً لملك شاه السلجوقي، ومن كبار قواده، لما شبَّ عماد الدين ولاه السلطان السلجوقي

تتش على الموصل سنة (٥٢١ هـ)، فكان له جهاد ضد الصليبيين طوال فترته (٥٢١ - ٥٤١ هـ) فاسترجع منهم الرّها وبعض المواقع.

بعد موت عماد الدين انقسمت مملكته بين ولديه:

- سيف الدين غازي بن عماد الدين (٥٤١ - ٥٤٤ هـ) الذي استقل بـ(الموصل) وتعاقب عليها ذريته، إلى أن قضى عليهم المغول بعد اجتياحهم بغداد، وذلك في سنة (٦٦٠ هـ).

- نور الدين محمود (الشهيد) (٥٤١ - ٥٦٩ هـ) الذي حكم حلب وامتد حكمه إلى أكثر الشام ومصر، وهو أعظم ملوك هذه الدولة، وكان صلاح الدين الأيوبي من قواده، وكان صاحب القدم الراسخ في جهاد الصليبيين في الشام ومصر.

بعد موت نور الدين انتقل أمر السلطنة إلى السلطان الناصر صلاح الدين.

الدولة الأيوبية (مصر والشام وغيرها)
(٥٦٧ - ٦٤٨ هـ)

الأيوبيون أسرة كردية من أذربيجان هاجرت إلى العراق.

مؤسس الدولة الأيوبية هو صلاح الدين يوسف بن أيوب، كان والده (نجم الدين أيوب) والياً على تكريت ثم انتقل إلى الموصل فدمشق، ثم صار نجم الدين (والد صلاح الدين) وأخوه أسد الدين شيركوه من كبار أمراء نور الدين محمود الزنكي (صاحب الشام). وأصبح أسد الدين نائباً لنور الدين على مصر، وبعد موت أسد الدين خلفه ابن أخيه صلاح الدين.

فكان وزيراً للعاضد الفاطمي، ونائباً عن نور الدين محمود، فلما مات العاضد آل أمر مصر إلى صلاح الدين.

بعد وفاة نور الدين أخذ صلاح الدين دمشق وكثيراً من بلاد الشام (٥٦٩ - ٥٧١ هـ) وأرسل أخاه توران شاه فأخضع كلَّ بلاد اليمن سنة (٥٦٩ هـ).

بذلك كوَّن صلاح الدين جبهة موحَّدة قوية بعد أنْ عانى المسلمون طويلاً مِنَ الفُرقة والضعف والتشتت، فوقف بهذا الجيش في وجه الصليبيين، وانتصر عليهم انتصاراً حاسماً في موقعة حطين المشهورة سنة (٥٨٣ هـ) التي استرجع على إثرها بيت المقدس وأخرج المحتَلّين الصليبيين من معظم بلاد الشام بعد احتلال تجاوز التسعين عاماً.

هذا وقد امتدَّ نفوذ صلاح الدين إلى سواحل طرابلس وتونس وبلاد النوبة والسودان، والحجاز واليمن.

بقيت الدولة الأيوبية قويَّة مرهوبة الجانب إلى أنْ توفي صلاح الدين سنة (٥٨٩ هـ).

كان صلاح الدين معروفاً بالعدل والتسامح والكرم، والزهد والقناعة.

ولم يكن من جاء بعده مثله فأخذت الدولة في الانحدار، وانتهت بموت آخر ملوكها الملك الصالح نجم الدين قبيل (معركة المنصورة) مع الصليبيين في دمياط التي قادها ابنه توران شاه، وبعد المعركة قتله المماليك عام (٦٤٨ هـ) وولَّوا عليهم زوجة نجم الدين المملوكة شجرة الدر.

وبذلك انتهت الدولة الأيوبية وقامت على أنقاضها دولة المماليك.

ثالثاً ـ أهم الأحداث

أ ــ الثورات

١ ـ فتنة الزنج (٢٥٥ ـ ٢٧٠ هـ)

الزَّنْج: طائفة مِنَ العبيد كانوا يعملون في سواد العراق، أثاروا الخوف والرعب في حاضرة الدولة العباسية أكثر من (١٤ عاماً)، كان يقودهم رجلٌ يُدعى عليّ بن محمد، من أهالي الطالقان، ادَّعى أَوَّلاً أنه من ولد عليّ زين العابدين بن الحسين، ثم بدأ يظهر بعض المخاريق التي سيطر من خلالها على العقول، ثمَّ ما لَبِثَ أَنِ ادَّعى مَعرِفةَ الغيْبِ والنُّبوَّةِ، وجهَرَ بمزيجٍ منَ العَقائدِ والبِدعِ، مزَجَها بالدَّعوةِ إِلى تَحْريرِ العَبيدِ حتَّى يَستَميلَهُم إِلى صفِّهِ، فانضمَّ إِليْهِ الكَثيرونَ، فَقويَتْ شَوْكَتُه، بعد أَنْ مَنّاهُم بأَنْ يَجعلَهم سادةً ويَجعلَ مِنْ سادَتِهِم عَبيْداً.

كان ابتِداءُ ظُهورِهِ في رمضان سنَةَ (٢٥٥هـ)، وبَنى لنفْسِه مَدينةً مُحصَّنةً غايةَ التَّحْصينِ سمّاها (المُخْتارَة) وجعَلَها قاعِدَةً لِمُلْكِهِ، وانتَشرَتْ جُيوشُه في العِراقِ وخوزسْتان والبَحرَيْنِ، واستَوْلَوا على سُفُنِ الحُجّاجِ، وكانوا يُدمِّرونَ المدُنَ ويَذْبَحونَ سُكّانَها بعْدَ سَبي نِسائها، فمِنْ ذَلِكَ أَنَّهم دخلوا البَصْرَة سنة (٢٥٦هـ) وخرَّبوها عن آخرها وأحرقوها، وقتلوا من أهلِها في يوم واحد ثلاثمئة ألف إنسان، وقد حقَّقوا انتصارات كبيرة على جيش العباسيين في مواقع كثيرة جدّاً، وتمدَّد نفوذهم حتى استولوا على مدينة الأبلَّة الفارسية، والأهواز، وعبادان، وواسط عام (٢٦٧ هـ)، وبلغوا

حدود بغداد وكادوا أَنْ يدخلوها، وأصاب النّاس فزع خوفٌ شديد فأقبلوا إلى مدينة بغداد هاربين من بطش الزَّنج.

تصدَّى لحرب الزَّنْج الموفَّقُ بالله العباسيُّ[1]، فأجلاهم عن الأهواز، وغيرها مِنَ المناطق والمدن التي استولوا عليها، ودمَّر المدنَ التي قام صاحبُ الزَّنْج ببنائها، إِلى أَنْ حاصر حاضرة ملكه (المختارة)، وتمكَّن من قتله، وتفرَّق من معه.

وانتهت تلك الفتنه في صفر عام (٢٧٠ هـ).

وقدَّر ابن طباطبا[2]، عددَ الذين قضوا قتلاً في هذه الفتنة بمليونين ونصف المليون، وأمّا السيوطي فقدرهم بمليونٍ ونصف المليون[3].

---

[1] هو أخ الخليفة المعتمد، ووالد المعتضد، واسمه طَلْحَة بن المتوكل، ولم يل الخلافة، وكانت له همة عالية في إسكان الفتن التي التي وقعت أيام أخيه، قال ابن كثير في ترجمته: كان غزير العقل، حسن التدبير، ... عالماً بالأدب، والنسب، والفقه، وسياسة الملك. (ت: ٢٧٨هـ) قبل أخيه المعتمد بستة أشهر.

[2] الفخري ص ٢٢١.

[3] للسيوطي، ص ٢٢٤.

٢ ـ الحركة القرمطية

(٢٨٧ ـ ٤٧٠ هـ)

وهم فرقة دينية، تستند في مبدئها الأساسي إلى أنَّ لكل ظاهر باطن، فآيات القرآن لها ظاهر ولها باطن، ولا يَعْرِفُ هذا الباطن إلا الإمام، وهذا المذهب ينحدر مِنَ الفكر الفارسي.

وقد ادعوا في بدايتهم التشيع إلى الإسماعيلية، ثم دعوا إلى أنفسهم وتفرَّقوا إلى فرق، وينتسبون إلى مؤسس دولتهم حمدان بن الأشعث الملقب بـ (قرمط)، وهو يمني الأصل تلقى الباطنية من فارسي يدعى حسين الأهوازي، وقد تزعَّم الحركة في الكوفة سنة (٢٨٧ هـ).

وامتد نشاطهم إلى الشام والخليج العربي ثم اليمن والحجاز.

استطاع الخليفة العباسي المعتضد أَنْ يقضي عليهم قضاءً مبرماً في العراق ثم في الشام بعد عدَّة حروبٍ طاحنةٍ وبقيت أكبر قوة لهم في البحرين والأحساء.

وكان أول دعاتهم في البحرين أبو سعيد حسين الجنابي (٢٨٧ - ٣٠١ هـ) وبنى ابنه سليمان (٣٠١ - ٣٣٢ هـ) مدينة الأحساء على أنقاض هجر عام (٣١٧ هـ)، وجعلها عاصمتها وارتكب مذابح عظيمة في البَصْرَة والكوفة.

وفي عام (٣١٧ هـ) هاجم مكة والمدينة، فدخل مكَّة المكرَّمة أيام الحج وارتكب مذبحة عظيمة فقتل الحُجّاجَ ورمى بجثثهم في بئر زمزم، ثم اقتلع

الحجر الأسود، وجرَّد الكعبة من كسوتها وحمل ذلك إلى القطيف. وظل هناك إِلى أَنْ أعادوه بشفاعة حاكم مصر الفاطمي عام (٣٣٩ هـ).

نهاية القرامطة:

في عام (٤٦٢ هـ) انتصر عليهم عبد الله العيوني بمساعدة العباسيين والسَّلاجقة فأخرجهم مِنَ البحرين، وأخيراً حدثت في الأحساء معركة الخندق فقضت على دولة القرامطة نهائياً عام (٤٧٠ هـ)، وحلَّت محلَّها الدولة العيونية[1].

[1] العيونيون فرع من قبيلة بني عبد القيس، سكنوا الساحل الشرقي لشبه الجزيرة العربية (الإحساء)، ثار عبد الله بن عليّ العيوني على القرامطة الذين كانوا يحكمون المنطقة، فتمكَّن من القضاء عليهم بمساعدة العباسيين والسلاجقة في الفترة (٤٦٦ - ٤٧٠ هـ) فأخرجهم من المنطقة نهائياً، وخضعت له المنطقة كلها، توالى بعده أمراء ضعفاء كثُرت بينهم الفتن والمؤامرات إِلى أَنْ انتهى أمرهم سنة (٦٣٦ هـ).

ب – المعارك الكبرى

١ - معركة ملاذ كرد (٤٦٣ هـ)

وقعت بين السلاجقة المسْلِميْنَ بقيادة آلب أرسلان، والروم البيزنطيين، انتصر المسلمون انتصاراً عظيماً، وسيطروا على آسيا الصغرى، فضموا إلى ديار الإسلام مساحة تزيد على ٤٠٠ ألف كم٢. وطرد سلطان الروم من آسيا نهائياً.

وتعد هذه المعركة نقطة تحول في التاريخ الإسلامي بصفة عامة وتاريخ غربي آسيا بصفة خاصة، لأنها يسرت القضاء على نفوذ الروم في أكثر أجزاء آسيا الصغرى.

وفتحت الطريق لزحف جديد. وقد كان ذلك مثيراً لأوروبا. فكان مِنَ العوامل التي سببت الحروب الصليبية.

٢ - الحروب الصليبية

(٤٨٩ - ٦٩٢ هـ)

هي الحملات التي وجهها المسيحيون في أوروبا إلى الشرق للاستيلاء على بيت المقدس، وكان البابا هو الذي يثير الحماس ويدعو للقتال.

أسباب الحملات الصليبية:

- أخذت تسميتها مِنَ الصَّليب دلالة على أَنَّ الدّين كان من أهم أسبابها.
- رغبة البابوية المسيحية بالقضاء على الإسلام.

- أسباب تجارية: الرغبة في امتلاك موانئ على البحر المتوسط لربط تجارتهم بالشرق.

- انتشار الحروب والمجاعات والأمراض والإقطاع في أوروبا جعلهم يبحثون عن أرض غنية.

- انحلال وضعف وتفرق الجبهة الإسلامية.

- انتقاماً لهزيمة البيزنطيين المروعة في معركة ملاذكرد سنة (٤٦٣ هـ).

- قَدِمت الحملة الأولى (٤٨٩ هـ) فتصدَّى لهم السلاجقة وأفنوهم.

- استطاعوا الاستيلاء على بيت المقدس ومعظم بلاد الشام عام (٤٩٣ هـ).

- ارتكبوا مجزرة أليمة وحشية، حيث أبادوا جميع سكان القدس مِنَ المسْلِميْنَ واليهود وخوارج النصارى، واستولوا على جميع ممتلكاتهم، وأقاموا إمارات في المدن التالية: (الرها، إنطاكية، بيت المقدس، طرابلس).

- ثم تتالت الحملات من أوروبا، وأشهرها وأهمها الحملات السبعة.

الجهاد ضد الصليبيين:

١ - الدور الجهادي للدولة الزنكية:

تصدَّى لهم عماد الدين زنكي في الفترة (٥٢١ - ٥٤١ هـ) في بلاد الشام فوحَّد صفوف المسْلِميْنَ، واستردَّ الرها وهدد بعض المدن.

ثم واصل ابنه نور الدين محمود الجهاد في الفترة (٥٤١ - ٥٦٩ هـ) يساعده أخوه سيف الدين غازي.

وكان مجال الجهاد في بلاد الشام ومصر واستطاعوا حفظ دمشق وحلب مِنَ الاحتلال.

٢ - الدور الجهادي للدولة الأيوبية:

يعدُّ السلطان الناصر صلاح الدين الأيوبي من أعظم قواد وأبطال المسْلِميْنَ الذين أَبْلَوا بلاءً حسناً في حرب الصليبيين. وقد استطاع صلاح الدين أَنْ يحقق عليهم انتصارات ساحقة، في معارك كثيرة، كان من أهمها على الإطلاق معركة حطين عام (٥٨٣ هـ)، التي تعدُّ من أشهر المعارك في تاريخ العالم، وقد استردَّ صلاح الدين على إثرها بيت المقدس، ومعظم بلاد الشام.

٣ - الدور الجهادي للمماليك:

بعد صلاح الدين الأيوبي جاءت العديد مِنَ الحملات المسيحية، ولكنها باءت كلها بالفشل، كان آخرها حملة لويس التاسع ملك فرنسا على دمياط بمصر عام (٦٤٩ هـ)، فتصدَّى له توران شاه الأيوبي، وهزمهم بمساعدة المماليك.

ثم حمل المماليك راية الجهاد ضدهم إِلى أَنْ أخرجوهم مِنَ الشرق الإسلامي كلياً عام (٧٠٢ هـ).

وكان الظاهر بيبرس وهو أعظم سلاطين المماليك، وأبرز من وقف في وجه الصليبيين واسترد منهم معظم مدن الشام، ومن بعده قلاوون، والأشرف خليل، وبرسباي.

الغزو المغولي ونهاية الخلافة العباسية

(٦٥٦ هـ)

المغول هم شعب من أواسط آسيا، وموطنهم منغوليا بأطراف الصين. ويشكلون مجموعات كبيرة مِنَ القبائل المتفرقة وحَّدهم (جنكيز خان) (٦٠٣ - ٦٢٤ هـ) واتَّخذ (قره قورم) عاصمة له.

وهم بدو صحراويين يحبّون الحرب والسَّلْبَ وسفك الدِّماء، ويعبدون الأوثان والكواكب والشمس.

المغول في بلاد الإسلام:

تمهيداً للقضاء على بغداد والخلافة الإسلامية استولى المغول على بلاد ما وراء النهر وخراسان وفارس، وقضوا على الدول التي كانت تقوم في تلك الأصقاع، واستولوا على آسيا الصغرى، فأصبحت طريق بغداد ممهدة أمامهم.

تدمير بغداد وقتل الخليفة:

هاجم هولاكو بغداد بجيش عرمرم، فانتصر منذ الجولة الأولى، واستسلم الخليفة (المستعصم بالله)، وخرج إلى معسكر المغول، ثم خرج القادة والفقهاء والأعيان، فخلت بغداد مِنَ المدافعين، وقتل هولاكو الخليفة ومن معه شرَّ قتله، وذلك في العشرين من محرم سنة (٦٥٦هـ)، وأذن هولاكو لجيشه باستباحة بغداد، فدمروها وأحرقوها، واستمرَّ السَّلبُ والقتل حوالي (٤٠) يوماً، وبلغ عدد القتلى قرابة المليونين (كما ذكر بعض المؤرخين).

وتشير بعض المصادر التاريخية إلى دورٍ مشبوه لابن العلقمي وزير المستعصم الذي تَقولُ تلك المصادر أنه تواطأ مع المغول وساعدهم في أعمالهم، أملاً في أَنْ يعينوه حاكماً على بغداد، إلا أنه لم ينل مبتغاه.

انتهت بذلك الخلافة العباسية في بغداد سنة (٦٥٦ هـ)، لتنتقل بعد ثلاث سنين إلى القاهرة، حيث أحييت رسومها على يد السلطان المملوكي الظاهر بيبرس.

أسباب وعوامل انهيار الدولة العباسية:

نلاحظ كثرة الأحداث التي مرت بالعالم الإسلامي خلال فترة الدولة العباسية.

وكثرة الدول التي استقلت وعلا شأنها، ثم انطفأت واختفت مِنَ الوجود.

ولاحظنا أنَّ الدولة العباسية مرت بفترات قوة كانت السيطرة فيها بيد الخلفاء.

ثم أخذ خطها البياني في الانحدار إلى أَنْ دمرها المغول في النهاية.

فيا ترى ما هي أسباب انهيار الدولة العباسية. قد تكون أهم عوامل الانهيار ما يلي:

١ - كثرة الثورات وحركات التمرد الديني كفتنة الزنوج وحركة القرامطة.

٢ - تسلط القادة العسكريين على الخلافة.

٣ - طغيان المظاهر المادية والحضارية، وميل النّاس إلى الترف والدعة.

٤ – المدُّ المغولي المدمِّر، وهو القشَّة التي قصَمَتْ ظهْرَ البَعيرِ.